نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
يسوع المسيح الغالب

مجلة شهرية

Issue No: 206 :عدد
October 2024 شهر تشرين أوّل

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Μεγίστης Λαύρας Αγίου Όρους

دير اللافرا الكبير للروم الأرثوذكس جبل آثوس - اليونان

عيد الدير المركزي
رقاد القديس أثناسيوس الآثوسي
مؤسِّس الدير
٥ تموز ش، ١٨ تموز غ

القديس
أثناسيوس الآثوسي
مؤسِّس
دير اللافرا الكبير

رقاد القديس أثناسيوس

يحتفل الدير بعيد
القديس يوحنا كوكوزاليس
في ١ تشرين أوّل شرقي
الواقع في ١٤ تشرين أوّل غربي

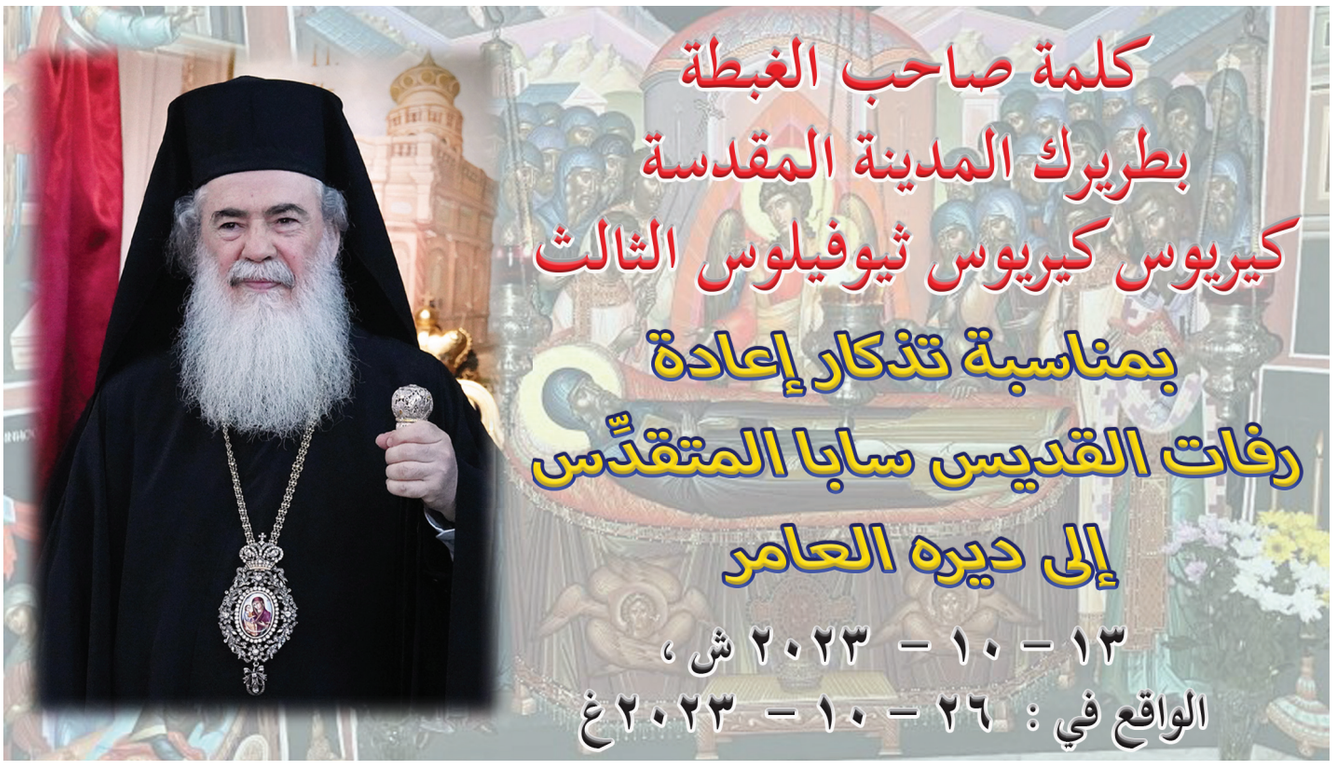

«النُّورُ أَشرَقَ على الصِّدِّيقين؛ والفَرح على المستقيمة قلوبُهُم. إفرَحُوا أيُّها الصدِّيقون بالرَّبِّ، واعترفوا لِذِكرِ قُدسِهِ» (مزمور ٩٦: ١١-١٢) هذا ما يتفوه به مرنم المزمور.

أيها الآباء الأجلاء والإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيُّون الأتقياء

رفعتِ اليوم كنيسة أورشليم المقدسة مجدًا وشكرًا **للإله الواحد المثلَّث الأقانيم**، وذلك لاستعادتها **رفات القديس سابا المتقدس** إلى ديره العامر الذي يحمل اسمه.

إنَّ **إكرام الكنيسة الأرثوذكسيَّة الرسوليَّة المقدسة لذخائر ورفات قديسيها** هو عمل إيمان واعتراف بقيامة **ربنا ومخلصنا يسوع المسيح** وذلك لأنَّهُ بحسب **القديس الرسول بولس**: « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ» (١كور ١٥: ١٣-١٤).

وبحسب شهادة الكتاب المقدس فإنَّ **ذخائر القديسين** تتميَّز من خلال نعمتها التي تنبع من فعل **الرُّوح القُدُس** ولنسمع: ماذا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: « يمكن للذي يأتي بإيمان أنْ يجنيَ فوائد عظيمة فليست أجساد القديسين وحدها ملأى نعمة بل وناووسهم (توابيتهم) ذاتها أيضًا، لأنَّهُ إذا كان في زمن **أليشع** قد تمَّ شيء من هذا القبيل، حينَ مسَّ الميت نعش **النبيِّ**، انحلَّ من قيود الموت وعاد إلى الحياة. فبالأحرى الآن النعمة أغزر وفعل **الرُّوح القُدُس** أخصب؟ فمن يمسّ نعش (القديسين) ذاته عن ايمان لا بدَّ وأنْ يجتذبَ منه منفعة كبرى. ولذلك أبقى الله لنا ذخائر القديسين رغبة منه أن يقودنا إلى تلك الغيرة التي كانت فيهم ويمنحنا ميناءً وتطبيبًا حقيقيًّا ضدَّ الشِّر المحيط بنا من جميع الجهات.» (أقوال القديس يوحنا الذهبيّ الفم)

وحقيقة أنَّ ذخائر القديسين المقدَّسة حاملة لنعمة قوَّة **الرُّوح القُدُس** هي دليل واضح على أنَّ أجساد الأبرار والقديسين الميتة تذيعُ بقيامة **المسيح** كما يعلِّم بوضوحٍ **القديس يوحنا الدمشقي** قائلًا: « إنَّ القديسين هم كنوز الله ومساكنه النقيَّة. إن الله يقول: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا». (٢كور ٦: ١٦)، والكتاب الإلهي يقول: «أَمَّا نُفُوسُ الصِّدِّيقِينَ فَهِيَ بِيَدِ اللهِ، فَلاَ يَمَسُّهَا الْعَذَابُ.» (حكمة سليمان٣: ١)، وذلك لإن موت القديسين هو بالأحرى نوم لا موت، فإنهم تعبوا إلى الدهر فسيحيون بلا انقضاء. (مز٤٨: ١٠) و «كريمٌ بين يدي الرَّبِّ موت ابراره» (مز ١١٥: ٦). وأي حال يمكن أنْ يكون أسمى وأشرف من أن يكون أحدٌ ما في يد الله؟ إنَّ الله نور وحياة. والذين هم في يَدِ الله إنما هُمْ في الحياةِ والنُّور.

هذه هي تمامًا قيامة **المسيح** النور والحياة الإلهيَّة «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يو ٨: ١٢) « أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو١١: ٢٥) كما يقول الرَّبُّ.

فها هنا يا إخوتي الأحبة تكمن أهميَّة **الذخائر والرُّفات المقدَّسة** وهذا هو السبب الذي يجعل **كنيستنا الأرثوذكسيَّة المقدَّسة** تقدِّم الإكرام الخاص واللَّازم **لذخائرِ ورفاتِ قدِّيسيها الأبرار**، ولنسمع أيضًا **القديس يوحنا الدمشقي** قائلًا: «إنَّ الله يتَّحد أيضًا اتحادًا عقليًّا في أجساد «القديسين»»، كما يقول **الرسول بولس**: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ» (١كور٦: ١٩)، «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ» (٢كو٣: ١٧)، «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ» (١كو ٣: ١٧). إذًا، فكيف لا ينبغي أنْ نُكَرِّمَ هياكل الله الحيَّة، مساكن الله الحيَّة وذلك لإنهم يحيون منتصبين بدالةٍ في حضرة الله؟» (أقوال القديس يوحنا الدمشقي)

إنَّ **أبينا البارّ سابا** قد تَبِعَ **المسيح** سائرًا في نوره، لهذا فقد نال نور الحياة أي قيامة **المسيح** من جهة ومن الجهة الأخرى أصبح جسده

الترابي عادم الفساد، إذ إنَّ رفات أبينا البار سابا المتقدس غير البالية وغير الفاسدة، تُشَكِّلُ ينبوعٌ لا ينضب يفيض على الدوام بالطيب والأشفية بنعمة الرُّوح القُدُس.

لقد ظهر حقًّا أبينا البارّ سابا هيكلًا حيًّا للهِ، لإنَّ موت القديسين هو بالأحرى نوم لا موت، وكما يشهد مرنم الكنيسة قائلًا: «لقد تجاوَزْتَ طاقة البشر حقًّا في عدم الشرّ ودماثة الخلق والوداعة والبساطة والسكينة أيها الأب، فأصبحت وأنت هيوليّ بينًا لله مجرَّدًا عن الهيولي عظيم الاستحقاق، تُوصل إلينا عن شفقةٍ وحنوٍّ، المواهب التي منحك إياها الله.»

فنحن أيُّها الإخوة الأحبة الذين نكرِّم استعادة رفات القديس المتوشح بالله أبينا البارّ سابا المتقدِّس نتضرَّع إليه ونتوسَّل إلى الفائقة البركات المجيدة سيِّدتنا والدة الإلٰه الدائمة البتوليَّة مريم أمُّ الله، ونقول تَوَسَّلا إلى المسيح أنْ يمنحَ العالم ولمنطقتنا السلام وعظيم الرَّحمة.

كل عام وأنتم بخير

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

تزيَّنت السنوات العشرون الأخيرة من حياة القديس سابا بأعمال مذهلة أخرى إلى جانب تأسيس الأديرة ورعاية الرهبان في الحياة الروحيَّة، وكانت لها أهمِّية كبيرة في التاريخ الكنسي والعام. انتقلت الكنيسة الأرثوذكسيَّة في الشرق تحت ضغط أتباع **الإمبراطور المونوفيزيتي(١) أنسطاسيوس (٤٩١-٥١٨) والمونوفيزيتي سَويروس «الذي لا رأس له» وفيلوكسينوس وسوتيريخوس، تدريجيًّا إلى الأساقفة المونوفيزيتيِّين.** وبإصرار من إيليا، بطريرك أورشليم الأرثوذكسيّ (٤٩٤–٥١٦)، وصل القديس سابا في العام ٥١٢ إلى القسطنطينيَّة حيث أقنع **الإمبراطور** بعدم إرسال إيليا إلى المنفى، مستفيدًا من سلطته وسُمعَتِه الرَّفيعة. وعندما قرّر **الإمبراطور** في العام التالي **نفي بطريرك أورشليم الأرثوذكسيّ** مرَّةً أخرى، جمع القديس سابا في أورشليم جميع الرهبان للدفاع عن إيليا وحَرْم **مَبعوثو الإمبراطور الهراطقة.** وبالمثل، وبدعم من القديس ثيودُوسيوس رئيس الأديرة، اجتمع النُّسّاك مرَّةً أخرى بعد ثلاث سنوات في العام ٥١٦ من أجل تثبيت البطريرك يوحنا الثالث (٥١٦–٥٢٤) في الإيمان الأرثوذكسيّ. وقد ساعد هذا التمثيل بالإجماع على إبقاء كنيسة أورشليم في الأرثوذكسيَّة، بينما انتقلت **كنائس القسطنطينيَّة والإسكندريَّة وأنطاكية إلى البطاركة المونوفيزيتيين. وبعد وقت قصير، استُعيدَت الأرثوذكسيَّة بإيمانها القويم في كُلِّ الأقطار.**

من حياة القديس سابا الموقَّرة.

لقاؤه مع يوستينانوس في القسطنطينيَّة ورقاده (٥١٦ – ٥٣٢).

لقد كانت زيارة القديس سابا الثانية إلى المدينة العُظمى بعد عشرين سنة من الزيارة الأولى، وذلك سنة ٥٣٠، وكان عمره تسعين سنة. لقد استطاع القديس سابا أنْ يحرِّرَ فلسطين من الإجراءات القاسية التي أراد الامبراطور يوستينانوس أن يتّخذها بعد الاضطرابات التي أعقَبَت **تمرُّد السامريِّين واليهود** (سنة ٥٢٩). علاوةً على ذلك، أقنع القديسُ الإمبراطورَ التقيّ، الذي كُشِفَت له قُدْسيَّة سابا في رؤيا، أنْ يتَّخذَ إجراءات **ضدَّ هرطقات آريوس ونسطوريوس وأوريجانس** وغيرها من الإجراءات المفيدة لفلسطين. ولهذا وعد سابا بأنَّ سلطة الإمبراطور ستمتدُّ إلى أفريقيا وإيطاليا. وحقًّا تمَّت بركة القديس سابا ونبوَّته: إنَّ انتصار القائدَين فيليزاريوس ونارسيسوس أعاد الأجزاء الغربيَّة من الإمبراطوريَّة إلى سلطة القسطنطينيَّة. هذه كانت موهبة النبوَّة التي قدَّمها القديس سابا.

يمكننا أن نُروي معجزات كثيرة للقديس لدرجة أنَّه من الصعب تحديد أي من معجزاته تستحق الإعجاب أكثر. لقد وُهِبَ نعمة عظيمة لدرجة أنَّ صلواته أنقذت أورشليم من جفافٍ دام خمس سنوات بعد نَفي البطريرك إيليا ظُلمًا، مِمّا جَلَبَ غضبَ الله على المدينة (سنة

٥٢٠). كما كانت عودته مِنَ المدينةِ العُظمى بمثابة بداية نهاية حياته.

انتقل أبونا **القديس سابا المتقدِّس** إلى الرَّبِّ بعد أتعابه الأرضيَّة في **٥ كانون الأول سنة ٥٣٢ م** . لقد عاش في **دير القديس فلافيانوس** عشر سنوات حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره، وعاش سبع عشرة سنة في **دير القديس ثيوكتيستوس** في فلسطين وتسعة وخمسين عامًا في صحاري مختلفة في **اللافرا الكبير**. وفي حوالي **عام ٥٤٧ م**، تمَّ الكشف على رفاتِهِ الشَّريفة كاملةٍ ولم يعترِها فسادٌ في قبره. بعد عدة قرون، نُقِلَت إلى القسطنطينيَّة، ومن هناك **سَرَقها الصليبيون** عام **١٢٠٤م مع ذخائر وكنوز روميَّة ثمينة لا تُثَمَّن** ونقلوها إلى **البندقيَّة**. وفي العام **١٩٦٥م**، أُعيدت **ذخائر القديس إلى الأبد إلى اللافرا الكبير**. كُتبت حياته لأول مرَّة للمؤمنين على يدِ **كيرلُّس من سكيثوبوليس** حوالي العام **٥٥٧ م**.

بحسب كلمات **ربِّنا يسوع المسيح** الصَّادقة، من ثمارِهِ يُعرف الإنسان (متى٧: ٢٠؛ لو٦: ٤٣). لذلك فإنَّ نموَّ **دير القدِّيس سابا الكبير المقدَّس** هو نتيجة ثِمار القديس الإلهيَّة، وشهادة لمجده ودالَّتِهِ وقُرْبِهِ من الله. ولهذا السبب لا تزال هذه **الجماعة الرُّهبانيَّة المُهمَّة للغاية** موجودةً حتى يومنا هذا في **صحراء اليهوديّة**. إنَّ ما يُثير الذُّهول حقًّا ليس فقط معجزاته التي لا تُعَدّ ولا تُحصى، ولكن أيضًا انعكاسها في **حياة اللافرا**، التي أصبحت مثالًا للأديرة الأخرى يُحتَذى بها، وتأثيرها العميق على الحياة الرهبانيَّة وقاعدة الخِدم الإلهيَّة في جميع أنحاء الكنيسة الأرثوذكسيَّة. علاوةً على ذلك، برَغ من **اللافرا** عددٌ كبيرٌ من الرجال القدِّيسين، سواء كانوا معروفين أو غير معروفين، ومن بينهم اللاهوتي الشَّهير والعظيم في القرن الثامن، **القديس يوحنا الدمشقي**. انتشر تكريم **القديس سابا** بسرعة من **روما إلى جورجيا في القوقاز**. جعل رؤساء الأديرة الذين خلفوا القديس مِنَ **اللافرا** مَعقلًا للأرثوذكسيَّة في فلسطين ضدَّ **الأوريجنيَّة** (٢) **والمونوثيليَّة** (٣) **ومحاربي الإيقونات والبابويَّة** (٤) ، أمام واجهة العالم الأرثوذكسي بأكمله. وبعد مرور العصور الوسطى، كانت **اللافرا** لا تزال مدرسة أخويَّة **القبر المقدَّس**، حيث يتلقَّى أعضاؤها إعدادَهم الأوَّليّ للحياة الرهبانيَّة وخبرتهم في شؤون الكنيسة في **اللافرا**. كُلُّ هذا تمّ بفضل عَظَمَة **القديس سابا** ومثاله. «كانت أعمال أبينا سابا المتقدِّس لامعة وموحى بها من الله: كان نمط حياته مجيدًا وسيرته فاضلة وإيمانه أرثوذكسيًّا. وقد ذكرنا ذلك في جزء منه أعلاه.»

يا أبانا القديس سابا المتقدِّس صلِّ إلى الله من أجلنا في هذه الأزمنة الصعبة!

https://orthochristian.com/136144.html

١) **أتباع هرطقة «الطبيعة الواحدة»** (المترجم)
٢) **نسبةً لتعاليم أوريجنس الهرطوقيَّة** (المترجم)
٣) **هرطقة «المشيئة الواحدة»** (المترجم)
٤) **نسبةً لهرطقات بابا روما واللاتين** (المترجم)

نقلها إلى العربيَّة: نديم سَلُّوم

الغايةُ من التجارب هو اكتشافُ **الأهواء المَخفيَّة** ومحاربتُها، لكي تُشفى النفس. **التجارب** هي أمثلة تُظهِر الرَّحمة الإلهيَّة. لذلك ضَع نفسكَ بثقةٍ بين يديِّ **الله**، واطلب مُؤازرته لكيما يُشدِّدُكَ في جهادِكَ.

فالرَّجاءُ في **الله** لا يؤدِّي أبدًا إلى **اليأس**. تجلبُ **التجاربُ** التواضعَ. والله يعلم ما يستطيع أنْ يتحمَّله كلُّ واحد منَّا، وهو يسمح بالتجارب وفقًا لقدرتنا. علينا أيضًا أنْ نحرصَ على أنْ نكون يَقِظين وحَذِرين، كي لا نُدخل أنفُسَنا في تجربة.

ضَعْ ثقتكَ في **الله** الصَّالح، والقويّ، والحيّ، وهو سيُرشدكَ إلى الرَّاحة. وبعد **الامتحانات والتجارب**، يأتي الفرح الرُّوحيّ. **فالرَّبُّ** يرعى أولئكَ الذين **يتحمّلون التجارب والضيقات** من أجل محبَّته. لذلك **لا تيأس، ولا تَخفْ.**

لا أُريدكَ أنْ تشعرَ بالضِّيقِ والارتباك بشأن ما يحدث رغمًا عنك، سواء كان عادلًا أم **لا**. حزنٌ كهذا هو دليل على **وجود الأنانيَّة**. احذَر من **الأنانيَّة** التي تَتَخفَّى بزيِّ تحصيل الحقوق. احذَر أيضًا من الحزن في غير أوانه، الذي ينتج بعد توبيخ مُحِقٍّ. فكلُّ حُزنٍ مُفرِط هو مِنَ **المُجَرِّب**.

يوجد حزنٌ ممدوحٌ واحدٌ فقط، وهو الذي ينتج عندما نكون على درايةٍ جيِّدة بحالةِ نفسنا البائسة. أمَّا الأحزان الأخرى **فلا** علاقة لها بنعمةِ **الله**.

إحرِصْ على أنْ يكون **فرح الرُّوح القُدُس** حارسًا لقلبكَ، فلا تسمح **للشرّير** أنْ ينفثَ فيه **سُمَّهُ**. كُنْ حذرًا!

إحذَر لئلَّا يتحوَّل **الفردوس** الذي في داخلك إلى **جحيم**.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتيوس خوندروبولوس

الفصل الرابع والثلاثون

«بالحكمة يُبنى البيت وبالفطنة يثبت». (أم ٢٤: ٣).

في ليلة عيد الميلاد من العام ١٩٠٧، كتب نكتاريوس هذه الرسالة إلى الدير:

«لقد بدأت أفكِّر بجدِيَّة أنَّ تواجُدي في الدير أضحى ضروريًّا. لقد أسَّستُ ديرًا ووضعتُ فيه راهبات شابات لا يملكن أيَّة خبرة، وهنَّ يَخُضنَ تجاربَهُنَّ الأولى. فهُنَّ من ناحية مُنجذبات نحو الحياة الرهبانيَّة ويحببنها، لكنهُنَّ يجهلن من ناحية أُخرى مقدار التضحية التي يقتضيها كمال الفضيلة. يجهلنَ الصراع الذي يجب خوضه ضدَّ النفس، أي ضدَّ الأنانيَّة وأهواء الرُّوح والجسد. ولا يعرفنَ كيف يُحاربنَ العالم، أي أوهام العالم، ولا الخصم، **عدوَّنا القديم**. تُهاجمهُنَّ عواصف الحياة، فَيُصَبنَ بالغثيان ويسيطر عليهنَّ الخوف ويتمايل مركبهُنَّ في جميع الاتجاهات. وليس عندهُنَّ بَحَّارة مختبرين، فيفقدنَ الشجاعة. وليس من مُحاربين أشدَّاء يشجعهُنَّ مثالهم. **وكلُّ هذا يُقلقُني**. أريدُ أنْ أكونَ مَعَكُنَّ بِقُربِكُنَّ طويلًا، لأُقَدِّم لَكُنَّ جميعًا الدعم والتعليم الضَروريَّيْن. عندما وضعتُكُنَّ في الدير في **إيجينا**، كنتُ أجهل بأنَّني **أُحَمِّلُ** نفسي مسؤوليَّةٌ قد تقودني أنا أيضًا إلى **إيجينا**. وفي حين أنَّ أفكاري ورغباتي هي في مكان آخر، في **دير القديس يوحنا السابق (المعمدان)، في جزيرة سكوبيلوس**، إلَّا أنَّ صوتًا داخليًّا يقول لي: «**لقد أخذتَ على عاتقكَ مسؤوليَّة، وعليك أنْ تتحمَّلها بالمكوث في إيجينا**».

صَلِّينَ لأجلي حتَّى يُهديني الرَّبُّ لأعمل مشيئته.»

الفصل الخامس والثلاثون

«ذِكْرُ الصِّدِّيقِ لِلْبَرَكَةِ، وَاسْمُ الأَشْرَارِ يَنْخَرُ.». (أم ١٠: ٧).

كان تشييد الكنيسة الجديدة في **إيجينا** يتواصل دون انقطاع. وقد تمَّ العثور على صليب رائع من الرخام للقبَّة. واستمرَّت مؤلَّفات نكتاريوس في الطبع. كما نُشِرَ كتاب «**والدة الإله**» وصار المال يتدَفَّق إلى الدير من الأصدقاء، وكذلك من أشخاص مجهولين. وكان كُلُّ شيء يتدبَّر بأفضل طريقة بمعونة الله. إلَّا أنَّ صحة نكتاريوس لم تعُد كما في السابق. فكثيرًا ما كان يُصاب بالزُكام، ويتعب بسرعة، ويُعاني من آلام الرأس والدُوار، ويضطر لملازمة الفراش.

وفي أوائل شباط من العام ١٩٠٨ قدَّم استقالته لأمينِ السرِّ العام في مجلس المدرسة بهذه العبارات:

«جانب مجلس مدرسة ريزاريو الاكليريكيَّة الموقَّر:

يُشَرِّفني أن أُعلِم مجلس المدرسة الموقَّر بأنِّي غالبًا ما أُصابُ بالمرضِ بسبب تعبي الجسدي الكبير، وأشعر بالعجزِ عن الاضطلاع بإدارة المدرسة مع كُلِّ المسؤوليات الكبيرة التي تقتضيها. لهذا أجد نفسي مضطرًّا، وبألمٍ شديد، لتقديم استقالتي.

وأرجوا صادقًا أن يُبارك الرَّبّ عملكم الجيِّد، وأن يحمي هذه المدرسة التي أحببتُها مِنْ أعماق القلب. وأنْ يجعلها تزدهر لتُحقِّق هدف مؤسِّسيها السامي: ليكن ذِكرُهما مؤبدًا.

وتقبلوا فائق تقديري وحبِّي اللذَيْنِ يجعلاني أُصلِّي إلى الرَّبِّ من أجلكم بحرارة».

وبينما كان يكتب هذه الأسطر، ارتجفت يداهُ، وامتلأت عيناه بالدموعِ رغم كُلِّ ما بذل من الجهدِ. وقال في نفسِهِ:

ـ كُلُّ شيءٍ يزول. كُلُّ شيءٍ يأتي ويرحل ... ما هو الإنسان على هذه الأرض؟ نحنُ كالعصافير المهاجرة. إنَّهُ وَهمٌ لحظةٍ تَمُرُّ كالبرقِ، ولا يترك أيُّ أثر ...

لكن الأمرَ لم يتمَّ كما كان يعتقد: فقد أُصيبَ الجميعُ بالدهشة في المدرسة في الأروقة بورعٍ مكتوم. وانتشر الخبر في كُلِّ مكان:

ـ نكتاريوس سيرحل ... لن يكون معنا بعد اليوم.

وتحلَّقَ حوله جمعٌ من أفضل التلامذة الذين شَرَّفوا فيما بعد الاكليروس اليوناني، واحتلوا المراكز الجامعيَّة. وأحاطوا به كما تُحيط الصيصان بالدجاجة الأم، وراحوا يطلبون منه الأحاديث الروحيَّة.

وصار الكثير من الموظفين يُحضِرُون الزُّهور إلى مكتبهِ كُلَّ يوم. وأَحَسَّ الاساتذة بقلق أنَّ فراغًا هائلًا سوفَ يحلُّ في المدرسة.

وبدأ المستشارون ينظرون إليه بعينٍ جديدة: وَعُوا (أيقنوا/ أدركوا)، أنَّه يعمل منذ أربعة عشر عامًا بتضحيةٍ وبِصبرِ أيُّوب، للنهوضِ بالمدرسة إلى مكانة محترمة.

في النهاية، وبما أنَّ صحته قد أصبحت منهارة، ولم يَعُد بالإمكان إقناعه بالعودَةِ عن قراره، فقد قرَّروا إحالته على التقاعد. ثمَّ أعطت الوزارة موافقتها الرسميَّة على استقالته في ٢٤ آذار ١٩٠٨، مضيفة إلى الورقة الرسميَّة التهنئات والتعبير عن الرِضا الملكي.

قبل ذلك التاريخ بشهرٍ ونصف، كُتِبَ في أرشيف المدرسة أنَّ أعضاء المجلس: «.. قد أوكلوا إلى **السيد أثينوجانس** أن ينقل إلى نكتاريوس **ألَمَهُم الكبير** لهذا الحدث، قبل أن يُوافقوا على كتاب الاستقالة. وفي الوقتِ نفسه تكفَّلَ المجلس بأن يصرف له راتبًا شهريًّا قدره ٣٠٠ دراخما، معترفًا بالخدمات التي أدَّاها للمدرسة؛ وقد طُلِبَ منه أن يُتابع إدارته للمدرسة إلى حين الموافقة الرسميَّة على استقالته».

(يتبع)

الشهداء الأبرار من دير زوغرافو

وأيقونة خيرُڤو (بالبلغاريَّة) أو مديح العذراء

المدعُوَّة: المُبَشِّرة، أو المُعلِنَة مُسبَقًا.

إنَّ النضال الطائفي والاستشهادي اللاحق **لشهداء دير زوغرافو الستة والعشرين** له أهميَّة خاصة لأولئك الذين يرغبون بشدَّة في الحفاظ على **لؤلؤة الإيمان الأرثوذكسي الثمينة نقيَّة وسليمة مِنَ البِدَعِ**. بالنسبة لنا، يُعَدُّ استشهاد الرهبان الزوغرافيين الستة والعشرين مثالًا هائلًا على حقيقة الاعتراف الأرثوذكسي، والشجاعة الفريدة التي تحلَّى بها الشُّهداء، والنابعة من صميم القلب والفكر، وثباتهم الأصيل الذي لا يتزعزع، بالحفاظ على وديعة الإيمان المسلَّم من القدِّيسن والرسُل الأطهار.

مع انعقاد المجمع الكنسي الذي دعا إليه **البابا أوربان** في **ليون عام ١٢٧٤م**، جرت أوَّل محاولة جديَّة لتوحيدٍ، أو بشكلٍ أكثر دقة، **استعباد الأرثوذكس للَّاتين**. وفي هذه الجلسة شارك للأسف أيضًا ممثلون عن الكنيسة الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة، وعلى رأسهم **البطريرك السابق جرمانوس الثالث**، بسبب رفض **البطريرك القانوني يوسف** ورفض الرعيَّة التقيَّة أيضًا لهذه المشاركة غير القانونيَّة.

وقد شاركت **بعثة الإمبراطور البيزنطِيَّة**، وبدون أي حوار لاهوتي حقيقي، إلى اعتراف مكتوب بالإيمان، نيابة عن **ميخائيل الثامن باليالوغوس**، وعلى أساسه قبلت الكنيسة الشرقيَّة **أولويَّة البابا، وانبثاق الروح القدس من الابن**، وكذلك القبول **بعقيدة نار المطهر**.

بعد **مجمع ليون الزائف**، نفَّذَ الإمبراطور قرارات المجمع. فاستبدل **البطريرك يوسيف المناهض والمعارض** لهذا **المجمع الزَّائف**، **بالبطريرك اللاتيني يوحنا فيكوس**، وأمر بإدخال **اسم البابا** في الديفتيخا الكنسيَّة وأعلن رسميًا **«اتحاد الكنائس»** في ١٦ يناير ١٢٧٥م.

أرسل **رهبان جبل آثوس** في البداية رسالتين (واحدة إلى **الإمبراطور** والأخرى إلى **مجمع البطريرك يوحنا فيكوس**) ينصحونهم من خلالها ويحذِّرونهم في الوقت نفسه بشأن رفضهم **سياسة اتحاد الكنيستين** بشكل غير لاهوتي **وزائف**.

ولمَّا تلقى **الإمبراطور ميخائيل الثامن، والبطريرك فيكوس** الرسائل، غَضِبَا بشدَّة، وأخذا جيشًا وجاءا إلى **جبل آثوس**. وهناك بدأوا بقتل وإغراق وشنق أي راهب يتجرأ على مقاومة هذا المجمع ومعارضة خططهم والتجرُئ على تقوضه من الناحية اللاهوتيَّة والعمليَّة.

واستسلمت أديرة ميجيستيس لافرا وإكسيروبوتامو للتوِّ بسبب **عنف اللَّاتينيُّون** وقبلتا هذا الاتحاد الزائف البغيض، **خوفًا وجبانةً**.

أمَّا **رهبان دير إيڤيرون**، فقاوموا **اللَّاتينيِّين** بروحٍ صلبة وبدون هوادة، الأمر الذي أغضَبَ **الإمبراطور ميخائيل**، فأَمَرَ جنوده بوضع **رهبان دير إيڤيرون العامر والصّامد** في سفينة، وبعد أن أَقَلُّوا الرهبان في عرض البحر، قاموا بإغراق السفينة مع ركابها. وهكذا نال الشهداء القديسون إكليل الشهادة، وختموا بتضحياتهم حصيلة خبرتهم النُسكيَّة الأصيلة بالإيمان القويم . **يحتفل دير إيڤيرون بتذكار الشهداء القدسين** في ١٣ مايو أيّار. وأيضًا **رهبان دير إكسينوفوندوس قاوموا ببسالة وبطولة**.

وصل **اللَّاتين**، الذين **واصلوا غاراتهم التدميريَّة**، إلى **دير فاتوبيدي**، لكنهم واجهوا هناك أيضًا مقاومة باسلة وردَّة فعل عنيفة، حيث قام جيش **اللَّاتين** بجَرِّ **الراهب الوقور القديس إفثيميوس واثني عشر من الرهبان**، إلى خارج الدير، وهناك تمَّ شنقهم حتَّى الموت. **يتمُّ الاحتفال بذكرى شهداء دي فاتوبيدي القديسين** في ٤ يناير كانون ثاني.

بعد كل هذا، وبينما استمر **اللَّاتينيُّون** في نهب كُلِّ ما في طريقهم، وصلوا إلى **دير زوغرافو المقدس** لإخضاع هؤلاء الرهبان المتوحدون والنساك هناك.

لكن **السيِّدة العذراء والدة الإلٰه الكلِيَّة القداسة**، لم تترك خُدَّامها دون إنذار. خارج الدير مباشرة، كان هناك رجل جليل فاضل جدًّا وزاهدًا في قلايته. وكان هذا الناسك الوقور، يصوم ويسهر بانتظام، وكانت له عادته المباركة أن يردِّد التسبحة الملائكِيَّة، أي **مديح السيدة العذراء مريم**، مرات عديدة في اليوم... وكان **موكب اللَّاتينيِّين** يقترب من **الدير المقدس**.. وأمَّا الراهب الناسك، وحسب عادته، فكان عندها جاثيًا على ركبتيه ويتلو **مديح العذراء والدة الإلٰه**. ولما وصل إلى الآية: «**إفرحي يا عروسًا لا عروس لها**»، أجابت **القديسة مريم العذراء** من أيقونتها: «إفرح أنت أيضًا أيها الجليل، يا رجل الله الوقور!». خاف الرجل العجوز!، وتابع الصوت من الصورة: «**لا تخف**»! «اذهب بسرعة إلى الدير، وأعلن لإخوتي وأخواتي **أنَّ أعدائي، وأعداء ابني** قد اقتربوا، ومَنْ كان ضعيفًا بالرُّوح، فليختبئ بصبر، إلى أنْ تجتازَ هذه التجربة، وأولئك الذين مستعدُّون لإكليل الشهادة فليبقوا في الدير.»

وما أنْ وصل الشيخ إلى باب الدير، اندهش لمشاهدته شيئًا غريبًا ؛ إذ رأى **أيقونة والدة الإلٰه العذراء** التي كان يقرأ أمامها المديح في قلايته البعيدة عن الدير. كانت هذه **الأيقونة** مستقرَّة على **باب الدير**! انذَهَلَ الشيخ الوقور، وبعد أنْ سجدَ على الأرض احترامًا وتوقيرًا، أخذ الأيقونة بين يديه، وذهب بها إلى **رئيس الدير** وأخبره بالأمر بلطفٍ وهدوء. ولما سمع **رئيس دير زوغرافو إيجومينوس توماس**، من الشيخ الجليل ما أخبرته **والدة الإلٰه**، وكيف أنَّ الأيقونة انتقلت من القلاية إلى باب الدير بطريقة عجائبِيَّة، قرَّر أنْ يبقى في الدير بِصُحبة خمسة وعشرين ناسكًا آخرين، لم يجزعوا من قدوم **جيش اللَّاتين**. مُعلنين عدم الخضوع للغزاة! فصعدوا إلى برج الدير مستعدين للاستشهاد في سبيل **الإيمان الأرثوذكسي القويم**. ومن هناك قاوموا **البطريرك ذو الوجه اللَّاتيني**. فقالوا بصوت واحد: «**نحن ضدَّ هذه البدعة وهذه الهرطقة، ولكننا متمسكين بإيماننا القويم**».

وصل **جيش اللَّاتين** إلى **دير زوغرافو**، لكن النساك الستة والعشرون (الذين أصبحوا شُهداء) لم يفتحوا أبواب الدير أمام **اللَّاتينيين**. فَطُلب منهم التعاون مع **البابويِّين**، والاعتراف بأنَّ **البابا** هو رأس الكنيسة بأكملها، فأجابوا من البرج أعلاه: «**رأس الكنيسة هو المسيح وليس البابا**». « **إنَّ من الأسهل لنا أنْ نخوضَ الموت ونجتازه بفرح، من أن نخون الإيمان الأرثوذكسي، والإعتراف بالبابا الكافر، على أنَّه رأس الكنيسة. وحتى لا يتلوَّث هذا المكان المقدَّس والطاهر، من عنفكم وطغيانكم وكفركم، فلم ولن نفتح لكم أبواب الدير! اخرجوا من هنا الآن وسريعًا!**».

فردَّ **اللَّاتينيون وأعوانهم الكفرة**: «**... إذًا حُكِمَ عليكم بالموت**». وبعد أنْ جمعوا الكثير من الخشب والأعشاب والشجيرات الصغيرة، وضعوها حول البرج، وأشعلوا نارًا كبيرة. عندها نال النُساك الستة والعشرون إكليل الشهادة، إذ تمَّ حرقهم في **١٠ أكتوبر تشرين الأوّل** سنة **١٢٧٦م** في عهد **البطريرك ذو الوجه اللَّاتيني إيوانُّو فيكوس**.

بقي أحد النساك الأبطال حيًّا لمدة ثلاثين يومًا، أخبرَ فيها ما جرى وما حدث، مع **جيش اللَّاتين**، وكيف تمَّ جمع الحطب وحرق البُرج، بعد أن رفضَ كُلُّ النساك الخضوع **لتعاليم البابا**. والذين فضَّلوا الموت الكريم، على **العيش الدَنِّي والحقارة والذُلّ**.

أسلم الشهداء الستة والعشرون نفوسهم **للمسيح** الفادي ومخلِّص البشريَّة، معترفين به وحده كرأس الكنيسة، **وليس البابا**. وأسماؤهم هي: **الأب توما، برصنوفيوس، كيرلس، ميخايوس (أو ميخاياس)، سمعان، إيلاريون، يعقوب، يعقوب آخر، أيوب، كيريانوس، ساڤا، مارتينيانوس، قزما، سرجيوس، ميناس، يوساف، يوانيكس، بولس، أنطونيوس، أفثيميوس، دوميتيوس وبارثينيوس وأربعة أشخاص علمانيِّين آخرين أسماؤهم غير معروفة**. من بين الجميع، فقط **الراهب بارتينيوس** لم يهلك في النيران، بل سقط من البرج. وعاش **٣٠** يومًا أخرى، وبالتالي أتيحت له الفرصة ليخبر كُلَّ شيء للإخوة الذين عادوا لاحقًا إلى الدير.

ولكن بعد ذهاب **فاعلي الشغب، وعاملي الشرّ**، عاد النساك الذين اختبؤا في الجبال. وبعد إزالة الأنقاض والركام من البرج، **قاموا بعناية** بجمع ذخائر الشهداء المقدسة، عندها تمَّ العثور على **أيقونة السَّيدة العذراء العجائبِيَّة** سليمة وغير محترقة، هذه الأيقونة التي احتفظ بها النساك الستة والعشرون لكي تعضدهم وتقودهم في سبيل الشهادة، **وبخشوع شديد حملوا الأيقونة ووضعوها في أيقونسطاس كنيسة رقاد السيدة العذراء المقدسة والعامرة ، حتى يومنا هذا.**

ومنذ تلك الحادثة، يهتم **آباء دير زوغرافو** أنَّ القنديل يبقى مُشتعلًا ليل نهار أمام هذه **الأيقونة العجائبِيَّة**. وتُدعى «**خيرُوفو**»، باللغة البلغارية، والمعروف أيضًا باسم **باناچيًّا أكاثيستوس (مديح الكُلِّيَّة القداسة)**، لهذه الأيقونة أسماء أُخرى وهي: **المُعلنة، او المتنبِّئة، آو المُخبِرة**. وأيضًا يدعون «**خيرُوفو**» المكان الذي رقد فيه بفرحٍ وابتهاج ذلك الشيخ القديس، الذي نال بركة **والدة الإله**: «إفرح أنت أيضًا أيها الجليل، يا رجل الله الوقور!». إكرامًا **للدائمة البتولية، والدة الإلٰه**، وتذكارًا للمعجزة، والفضل والشُّكر لنساك الدير، تقرَّر أن تُتلى خدمة المديح أمام الأيقونة ضمن خدمة القداس الإلهي.

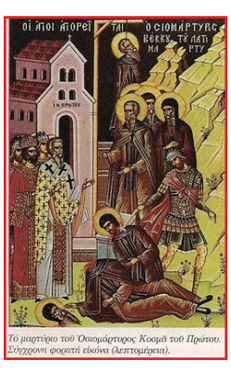
Το μαρτύριο τού Ὁσιομάρτυρος Κοσμᾶ τού Πρώτου. Σύγχρονη φορητή εἰκόνα (λεπτομέρεια).

يتمُّ الاحتفال بأيقونة المديح «خيرُوفو» مرّتين في السنة:

أ) **١٠ أكتوبر تشرين الأوّل** بالتقويم القديم (٢٣ أكتوبر بالتقويم الجديد)، إلى جانب **الاحتفال بتذكار الشهداء الـ ٢٦ الابطال** الذين احتفظوا **بأيقونة المديح العجائبيّة** خلال تحصُّنهم داخل البرج.

ب) **٢٨ يوليو تموز** بالتقويم القديم (١٠ آب غربي)

وأيضًا يحتفل الدير بمعجزة السيدة العذراء مريم التي أنقذت الدير من النار وبالفعل عدة مرات. تمَّ **بناء النصب التذكاري للشهداء الستة والعشرين: في ١٢ يونيو حزيران** وذلك عام **١٨٧٣م ؟**

بعد رحيل الجيش من **دير زوغرافو** وصل **ميخائيل وجيش البابا** إلى **قلالي كارييس**، حيث هناك يتواجد المقرّ الأوّل **لجبل آثوس**، فطلبوا من الرهبان الإعتراف بالبابا كرئيس للكنيسة ، **فقاوموهم بشدَّة**، عندها قتلوا الرئيس الأوّل **الراهب قزماس التابع لدير ڤاتوبيذي** الذي كان في إسقيط

القديس قوزماس هيروموناخو

كارييس، **يا لقساوة البابا وجيشه الوحشيّ**، ففي البداية، قام **أهل الفتنة اللّاتين**، **بقطع ساقَي (الراهب قزماس، هيروموناخو) الموقر بالفأس**، وبعدها تمَّ **قَطع هامته الشريفة**. ثمَّ على قطعة من الرخام **بَتَروا رؤوس سبعة آباء آخرين** بنفس أداة القتل؛ **تمَّ جمع ذخائر القديس قزماس المدعو الأوَّل في جبل آثوس، في ١١/٢٢ شرقي ١٩٨١م، الواقع في ١٢/٥ غربي**. وفي احتفال مهيب ضمَّ رهبان جبل آثوس الذين احتشدوا في حرم الكنيسة في كارييس وبعد تلاوة الصلوات الخاصَّة، تمَّ الحفر حيث كانت مدفونة **رفات القديس قوزماس**، وبعد الحفر قرابة المتر الواحد، قال الايروموناخو كيرلُّس : «ها هو **جسد القديس قوزماس**، ثم هتف جميع الحاضرين طروباريّة الآباء الأثوسيّين. وطُلِب من الراهب إيروثيون أن يقرع الأجراس فرحًا ليعلن الحدث البهيج للجميع. وتمَّ إزاحة الستار عن القبر وعرض الذخائر المقدسة للحاضرين حوالي **الساعة ١٢,٤٥ ظهرًا من يوم ثلاثاء ١٩٨٦/١١/٢٢**، وعلى الفور امتلأ المكان برائحة طيب لا توصف.»

إذا كانت العروض المسرحيَّة هي التي تسعى وراءها، اترك **هذه المشاهد الشيطانيَّة** وتعال إلى الروحيَّة. إذا كانت القيثارات هي التي ترغب في سماعها، تجاهل الأغنية النكراء واضبط ذهنك على الذبذبة النابضة بالحياة، وحقِّق حالة من النشاط الذهني والعقليَّة اليَقِظَة. وتأمَّل كيف أنَّ الأصوات المختلفة والأوتار المتميزة (للخليقة) ينبعث منها لحن واحد متناغم من جميع الجهات تكريمًا للهِ الصانع الماهر، كما لو أن صوت الرياح الذي يتكوَّن من أصوات مختلفة يُنتِج نغمة واحدة في تمجيد الخالق. فالأوتار تقدِّم نغمة خاصة لكُلٍّ منها بشكل منفرد ونغمة أخرى وهي مجتمعة.

لكي تفهم النغمة الناتجة الخاصة بكُلٍّ منهما، انقر على وتر السماء في ذهنك وسوف تسمعه يُصدر صوتًا عاليًا، مُقدمًا التسبيح للهِ. هذا ما أدركه أيضًا الكاتب المُلهَّم عندما قال: « اَلسَّمَاوَاتُ تُذِيعُ مَجْدَ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِأعمالِ يَدَيْهِ» (مز ١٨: ١).

تحَوَّل الآن من هذه النوتة الموسيقيَّة إلى النوتة التي يلعبها «**النهار والليل**» وسوف تلاحظ أنَّ الَّلحن الذي ينبعث منها أكثر جمالًا من أيِّ قيثارة، خصوصًا عندما يكون الشخص على دراية بكيفيَّة اللعب على هذه الأوتار.

ربما تسأل، ما هي الأصوات التي تصدرها؟ السماء ليس لها فم لتفتحه ولا لسان ولا حنك ولا أسنان ولا شفاة، فكيف يتشكَّل الصوت؟ كيف للنهار أن يعطي صوتًا؟ إنها ليست بآلاتٍ ناتجة للصوت، بل يتعلَّق الليل والنهار بمسار الشَّمس والقمر ومرور الوقت!

في حالة إستياء أيِّ من الناس أو إنزعاجهم لسماع ذلك، لنستمع للكاتب المُلهَّم وكيف يصيغ التعبير، فبعد أن قال: « اَلسَّمَاوَاتُ تُذِيعُ مَجْدَ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِأعمالِ يَدَيْهِ» .. «يومٌ إلى يومٍ يُبدي كلمةً. وليلٌ إلى ليلٍ يُخبر علمًا»، بدلًا من التوقف هنا، استمر قائلًا: « ليسَ قولٌ ولا لُغات. لا تسمَّع اصواتهم» (مز١٨:٣). ما يعنيه هو شيء من هذا القبيل: النهار والليل والسموات ليس فقط يصدرون أصواتًا، بل أصواتها هي أكثر صفاءً وتميُّزًا ووضوحًا من الأصوات البشريَّة. كيف ذلك وبأي طريقة؟ لنستمع للنصِّ ذاته: « ليسَ قولٌ ولا لُغات. لا تسمَّع اصواتهم». ماذا يعني ذلك؟ إنَّهُ إطراءٌ للصوتِ الذي تُصدره، وإشادة بالدَويِّ الخاص بها. أعني، أنَّهُ يتمُّ التعرُّف على كلامي بواسطة شخص يتحدث لغتي، ولكن ليس بواسطة شخص آخر لسانه مختلف.

على سبيل المثال، عندما اتحدث **باللغة اليونانيَّة** فمن يعلمها يفهمني، في حين أنَّ **السكيثي** أو **التراقي** أو **المورو** أو **الهندي** لن يفهمني، فإختلاف اللغة لا يسمح للمعنى الذي أقصده أن يصبح واضحًا. هكذا بالمثل، لن أنجح في فهم **السكيثي** أو **التراقي** عندما يتكلَّم ولا أيِ شخصٍ آخر له لغة مختلفة. أمَّا في حالة **السموات والنهار والليل**، الأمر ليس كذلك، إذْ أنَّ أصواتها من النوع الذي يمكن فهمه بواسطة **جميع الناس من كُلِّ اللغات، وكُلِّ الألسنة، وكُلِّ الأمم، وبكُلِّ وضوح**.

لذا، بعد أن قال: « اَلسَّمَاوَاتُ تُذيعُ مَجْدَ اللهِ،.. يومٌ إلى يومٍ يُبدي كلمةً. وليلٌ إلى ليلٍ يُخبر علمًا»، استمر قائلًا: « ليسَ قولٌ ولا لُغات. لا تسمَّع اصواتهم». ما يعنيه هو شيء من هذا القبيل: الليل والنهار والسموات وجميع المخلوقات لها نوع من الخطاب ونوع من الصوت يمكن فهمه بواسطة جميع اللغات أي جميع الألسنة. في الواقع، ليس هناك جنس يخفق أمامه صوت السموات بأن يكون مفهومًا: **السكيثيون، التراقيون، المورو، الهنود، السارماتيون،** كُلٌّ لغة ولسان وعرق يمكنه فهم هذا الصوت.

كيف وبأي وسيلة؟ لنستمع للمزيد حتى ندرك كيف تصدر السموات صوتًا دون أنْ تقول شيئًا. عندما تلاحظوا **جمالها، مداها، ترتيبها، ديمومتها، عظمتها**، وتتأمَّلوا في كل ذلك، حالًا تقدمون التمجيد للخالق وتُشيدون بالصانع، آنذاك تكون السموات قد أصدرت صوتها، **ناطقة بتمجيد الخالق بلسانها**. هذا هو معنى الآية: « اَلسَّمَاوَاتُ تُذيعُ مَجْدَ اللهِ». كيف وبأي طريقة؟ بتوجيه المشاهد نحو **الإعجاب بالخالق** من خلال جمال سطوعها الخاص. وعندما ترى مثل هذا العمل الرائع، تقول: **المجد لك يا الله، على خَلْقٍ مثل هذا العمل العظيم ووضعه أمام أعيننا**. السموات قد قدمت هذا التمجيد باستخدام لغتها الخاصة، دافعةً الناس نحو الإعجاب من خلال مشاهدتها. على الرغم من سكوتها بهذا الشكل، إلَّا أنها تقدِّم **المجد للهِ، ويفهم جميع الناس صوتها**. ومن الممكن إدراك ذلك لا بالسمع بل بالبصر والمشاهدة، والبصر هو شائع للجميع حتى لو كانت اللغات مختلفة وأجنبيَّة. **السكيثيون والتراقيون والمورو والهنود** يفهمون هذا الصوت، يُحدقون في هذه الأعجوبة، يندهشون بجمالها وسطوعها وعظمتها وكُلِّ سَماتها الأخرى، **فيقدمون التمجيد للخالق ـ إذا كانوا ذو نزعة صادقة**.

أيضًا، عندما تلاحظ انتظام الأوقات، وكيف يُراعي **النهار** حدوده الخاصة، وكيف أنَّهُ ليس على خلاف مع **الليل** بغرض تجاوز حدوده الخاصة، ولا يظهر أي طمع أو يمارس أي ضغط لإستهلاك كُلِّ الوقت على أساس أنَّهُ أكثر إشراقًا من **الليل**، بل على العكس، نراه يُفسِح المجال. والليل كذلك عند استكمال شوطه يَفسَح المجال **للنهار**. وكيف أنَّ ذلك يحدث طوال هذه السنوات بدون **أي ارتباك أو اضطراب**، ودون أن يتغلب الواحد على الآخر، أو أن الأخير يَحسِد السابق، على الرغم من أن واحد أكثر أشراقًا والآخر أكثر قتامة. كيف لا يُعجَب الإنسان من هذا الانتظام، فلا يُقدِّم **المجد للهِ؟** مثل شقيقتين متعاطفتين مع بعضهما البعض، اللتان يقسمان ميراثهن بالتدقيق، والأوزنة دون أن تُضْنِ الواحدة على الأخرى بأيِ شيءٍ ضئيل، هكذا يفعل أيضًا **الليل والنهار** فيُقسِّمان الوقت بينهما، دون أنْ يُضْنِ الواحد على الآخر بأدنى شيء، ويحافظان على مثل هذه المساواة ـ كما تعلمون من معايشة ذلك بأنفسكم.

ليت **الإنسان الجشع** ينتبه لذلك، الذي **يستبعد** أشقاؤه من الميراث. ليته يتأمَّل إنتظام الأوقات، **وعدالة النهار والليل**، وليَضَعَ حدًّا لهذا **الخلل** الخاص به. هذه إذن هي الطريقة التي بها: «يومٌ إلى يومٍ يُبدي كلمةً. وليلٌ إلى ليلٍ يُخبر علمًا»، دون التفوُّه بأيِ صوت لكن من خلال **أنتظامهما وإيقاعهما، مساواتهما وقسطهما غير المنقطع**، يحتفلان بالخالق بشكلٍ أكثر وضوحًا من البوقِ، ليس في زاوية واحدة من العالم بل في كُلِّ الأرض التي تجتازها الشمس. أصواتهم تصل إلى كُلِّ مكان في العالم، بما أنَّ **السماء** في كُلِّ مكان، **والنهار** في كل مكان، **والليل** في كُلِّ مكان، ويذيعون تعليمهم في البرِّ والبحر على حَدٍّ سواء. لذا، الكاتب المُلهَم لم يقل: «**أنَّ السموات تنطق بمجد الله**» بل قال «**تُذيع**» «**في اليونانية القديمة: ذييغوندي** διηγοῦνται»، أي ترشد الآخرين، وتقيم تلاميذًا من الجنس البشري، وتجلب إلى الصدارة تعليمًا أكثر إقناعًا عوضًا عن الكتب، وتستعرض جمال طبيعتها الخاصة، لكي يلاحظ الشخص البسيط والمتعلم وكُلُّ إنسان، كما لو أنَّ التدريس بحكمة الله وقوته ماثلٌ أمامهم في كتاب. هذه هي ليست طريقة نطق بني البشر، إذ أنهم دون أن ينبسُّوا ببنت شفة يمجدون الله بوسائل أخرى.

لذلك قال السيد **المسيح**: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٦). تمامًا كما ترون حياة مقدَّسة لشخصٍ ما، فأنكم تمجدون الله، دون أنْ تصدرَ كلمة واحدة من هذا الشخص، هكذا أيضًا عندما ترون جمال السماوات تمجدون الخالق. لذا قال: « اَلسَّمَاوَاتُ تُذيعُ مَجْدَ اللهِ»، عن طريق شهود العيان.

«يومٌ إلى يومٍ يُبدي كلمةً. وليلٌ إلى ليلٍ يُخبر علمًا». **أيُّ نوعٍ من العلم؟** معرفة الخالق. وكما يدفع النهار الإنسان نحو العمل، يأتي الليل بدوره ويجلب الرَّاحة من المشاغل العديدة، ويُعطي الإغاثة من الهموم، ويجلب النوم للأعين المتعبة، ويغلق الجفون، ويجعلنا مستعدين لإستقبال أشعة الشمس مرَّةً أخرى بقوَّة مُتجدِّدة.

وهكذا، الفائدة ليست قليلة بل هي في الواقع ذات أهميَّة كبيرة. لو أنَّ **الليل** لم يعطِ الناس الراحة بالإفراج عنهم من الهموم التي لا حصر لها، لن يكون من الجيِّد أنْ يأخذهم **النهار** للعمل، فتئنُّ الطبيعة من جرَّاءِ العمل المتواصل، وبالتالي **تُهدَّر وتتدمَّر** طاقة الكائنات الحيَّة، ولا تُجنَّ بعد أي فائدة من أشعة الشمس. إذًا، من خلال جعل **النهار** مُفيدًا للناسِ، صار يقودهم لمعرفة الله ولا سيَّما بواسطة خدمته الخاصة، عندما يتمتعون برقصته. هكذا، عندما تفهم **منفعة النهار العظيمة، وفائدة الليل الجليلة**، وكيف يخلف الواحد الآخر، كما بنوع ما من الرَّقْصِ، وبتتابع الواحد للآخر بمداورة يحافظون على الجنس البشري، يمكنك عن طريق التأمُّل والتفكر أنْ تُدرك حكمة الله الصانع الماهر، بشهادة النهار والليل، مُخصصًا الواحد للعمل والآخر للإستراحة من الأشغال.

فن تربية الأطفال

للقديس
پورفيريوس
الرَّائي

تبدأ تنشئة الأولاد من لحظة تكوينهم، فالجنين يسمع ويشعر وهو في أحشاء أُمِّهِ، أجل، إنَّهُ يسمع ويرى بعينيِّ الأم. يُدرك تحرّكاتها ومشاعرها، رغم أنَّ فكره لم يكن قد نما.

يشحب وجه الأم، وكذلك وجه الجنين. تغضب الأم ويغضب الجنين. تشعر الأم بالحزن، بالألم، بالخوف، بالقلق..... فيتأثَّر الجنين بكلِّ هذا. إذا رفضت الأم جنينها، إذا كرهته، يشعر الجنين بهذه الأحاسيس، فتتكوَّن في نفسه الصغيرة **جروحات** ترافقه مدى عُمْرِهِ كلَّهُ.

ويحصل عكس ذلك مع مشاعر الأم المقدَّسة. وعندما يكون في قلبها **الفرح والسلام**، والمحبّة للجنين، تُنقَل هذه الفضائل سرّاً إلى مَن تحمل في أحشائها كما يحصل مع الأطفال المولودين. لهذا يجب على الأم أنْ تصلِّي كثيرًا خلال فترة الحمل وأنْ تحبَّ الجنين وتداعب بطنها وأنْ تقرأ المزامير، وترتّم التراتيل وتعيش حياةً مقدَّسة. وهذه الممارسة تعود بالنفع لها، بل وتضحياتها من أجل جنينها، لكي يصبح الولد كذلك أكثر قداسةً، ويمتلك من البداية إيداعات مقدَّسة.

أرأيتم كم هو دقيق أن تحمل المرأة ابنًا ؟

كم هي المسؤوليَّة كبيرة وكم هو الشَّرفُ عظيمٌ !

سأقول لكم شيئًا له علاقة بما سبق، وعن كائنات حيَّة غير عاقلة وستفهمون منه القليل.

في أميركا يختبرون ما يلي:

في قاعتَين متشابهتَين، درجات حرارتهما واحدة وَرَبِّهِمَا واحدٌ وكذلك تربتهما، يزرعون في القاعتين أزهارًا. فنلاحظ فرقًا واحدًا وهو: في إحدى القاعَتين، يضعون **الموسيقى الناعمة والفَرِحَة**.

النتيجة؟ ماذا أقول لكم؟! أزهار هذه الغرفة تُظهِر فرقًا شاسعًا بالنسبة إلى الثانية. ففيها **حيويَّة مميَّزة**، لونها أكثر جمالًا ونموُّها أكبر لا يُقارَن.

حياة الوالدَين داخل البيت وحدها تحمي وتُنشئ أولادًا صالحين . يجب على الوالدِين أن يُعطوا أنفسهم **لمحبّة الله**. يجب أنْ يَصيروا بوَداعتهم، بصبرهم، بمحبّتهم لبعضهم، قدِّيسين بالقربِ من أولادهم. أنْ يضعوا كلَّ يومٍ خطًّا جديدًا وشوقًا جديدًا، وغيرةً ومحبّةً للأولاد. والفرح الذي سيغمرهم والقداسة التي ستكون قد زارتهم، سوف **تُطلِق النعمةَ للأولاد**، **وسوء تصرُّف** الأولاد ينتج عن **خطأ الأهل بشكل عام**. لا النَّصائح ولا النظام ولا القساوة تخلِّص الأولاد. إنْ لم يتقدَّس الوالدِين، إن لم يجاهدوا، **يرتكبوا أخطاءً كبيرةً وينقلوا الشرّ الذي في داخلهم**. إن لم يعِش الوالدون حياةً مقدَّسةً، إن لم يتكلَّموا بمحبّة، **يُعذِّبهم الشيطان** بردَّة فعل الأولاد. **المحبّة، وحدةُ الحال، وتفاهم الوالدَيْن الجيّد** كلُّها واجبة ولازمة للأولاد، وهي تُعطيهم أمانًا كبيرًا وثباتًا.

سلوك الأولاد له علاقة مباشرة بحالة الأهل. عندما ينجرح الأولاد من سوء تصرُّف فيما بين الوالدَيْن، يفقدون قواهم وشوقهم وتأهُّبهم للسير إلى الأمام ويُفسدون بناءَ أنفسهم ويُهدِّدون هذا البناء لحظة بلحظة للخطر حتى الهدم. أسوق لكم مثلَين:

جاء إليَّ مرَّةً شابَّتان، واحدة كانت مسالكها قبيحةٌ جدًّا، تسألانني عن سبب تلك المسالك. قلتُ لهما :

– من المنزل، من والديكما.

– وفيما كنت «أتبصَّر أعماق» واحدة منهما، قلت:

– أنتِ قد ورثتِ من والدتك هذا كلَّهُ.

– قالت، ولكنَّ أهلي هم أُناس كاملون. هم مسيحيُّون، يعترفون ويتناولون القربان المقدَّس، ويُمكن أن يُقال: نحن نمارس ديانتنا ونعيشها. إلَّا..... إذا كانت الديانة تُخطئ، أجابت تلك .

قلتُ لهما:

– لا أُصدِّق شيئًا ممَّا تقولانه لي. أنا أرى شيئًا واحدًا فقط : لا يعيش أهلكما فرحَ المسيح .

بناءً على هذا قالت الأخرى :

– إسمعي ماريًّا، حسنًا يقول الأب، إنَّهُ على حقٍّ. نعم.....أهلُنا يذهبون لعند الأبِ الرُوحيِّ، للإعترافِ، للمناولة الإلهيَّة، ولكن لم يكُن سلامٌ أبدًا في المنزل! كان والدنا يتأفَّف بصورة متواصلة من والدتنا. وكانا يتذمَّران باستمرار، مرَّة لم يكن يأكل الواحد مع الآخر ومرَّة أخرى لم يكن يريد الآخر مرافقة الأوَّل. **إنَّ الأبَ على حقٍّ.**

– ما اسم والدك ؟ سألتها.

– قالت ليَ الاسمَ.

– ما اسم والدتك ؟

– قالت لي أيضًا.

–«**إيه**»، قلتُ، يبدو أنَّ داخلكِ ليس على ما يُرام مع والدتكِ.

إسمعوا لي الآن: اللَّحظة التي فيها كانا يقولان لي الإسم، «كنتُ أرى» الأب، كنتُ أرى نفسه. ولحظة قولهما لي إسم الأم، «كنتُ أرى» الأخيرة وكنت أرى كيف كانت الإبنة تنظر إلى والدتها.

مرّةً أخرى أتت أمٌّ مع إحدى بناتها وزاراني. كانت منزعجة وكانت تجهش بالبكاء وكانت تشعر بحزنٍ، وبؤسٍ عميق .

سألتها، ما بكِ ؟

– إنِّي يائسة مع ابنتي الكبيرة، التي طردت زوجها من البيت وكانت تضلِّلنا قائلةً أكاذيب كثيرة.

– قلتُ، أيَّةُ أكاذيب؟

– طردت زوجها من البيت منذ زمن ولم تخبرنا شيئًا عن ذلك. كُنَّا نسألها بواسطة الهاتف «**كيف حال ستيليوس؟**». «**بخير، كانت تجيبنا، ذهب الآن لشراء الجريدة**». وكانت تختلق كُلَّ مرَّةٍ عُذرًا لكي لا نَشُكَّ بشيء. هذا دام سنَتين وكانت تُخفي طردَه عنَّا. ومنذ أيَّامٍ قليلة عرفنا بطرده منه شخصيًّا، إذ رأيناه صدفة.

حسنًا، قلتُ لها:

– أنتِ وزوجكِ مخطئان وخطيئتك أنتِ هي الأكبر.

– أنا ! أنا التي كنتُ أُحبُّ أولادي كثيرًا وكنتُ لا أخرج من المطبخ، لم يكن عندي حياةٌ شخصيَّة، كنتُ أقودهم إلى الله وإلى الكنيسة، كنتُ أنصحهم للخير. كيف أكون أنا خاطئة؟

توجَّهت للإبنة الأخرى، التي كانت حاضرة :

– أنتِ، ماذا تقولين؟

– نعم، يا أُمِّي، إنَّ الأب الشيخ على حقٍّ، لم نأكل أبدًا أبدا خبزًا حُلوًا مدى العمر بسبب المناكفات التي كنتِ ترتكبينها مع والدي.

– أرأيتِ أنَّني على حقٍّ؟ أنتما تخطئان، أنتما تجرحان الأولاد. لم يُخطئ أولادكما، لكنَّهم يُعانون من العواقب.

تولَدُ بسبب الأهل حالة في نفس الأولاد، حالةٌ تترك آثارًا في داخلهم طيلة حياتهم، وتصرُّفهم بالتَّالي في حياتهم وعلاقتهم مع الآخرين تتعلَّق مباشرة بمسالك الحياة التي اكتسبوها من سنيِّ طفولتهم. يكبرون، يتعلَّمون، ولكن في العمق لا يتبدَّلون.

هذا يظهر وفي أدقِّ ظواهر الحياة. مثلًا: تقعُ في نَهَم. تطلب الطَّعام وتأخذه، تأكل، ترى قوتًا آخر، ترغب به وتبتغيه. وتشعر من جديد بالجوع. فإذا ما أكلتَ، يُمسكَكَ لعيانٌ وارتعاش. تخاف من أنْ تضعفَ وهذه الحالة نفسيَّة لها تفسيرها. من الممكن القول إنَّكَ لم تعرفْ أبًا ولا أُمًّا، أن تكون سفليًّا وجائعًا، فقيرًا وضعيفًا، وهذا حدثٌ روحيٌّ، ينعكس ضعفًا في الجسد.

يوجد لحالة الانسان الروحيَّة قسمٌ كبيرٌ من المسؤوليَّة. لا تكفي النَّصائح والضغوطات ولا المنطق والتَّهديدات لتحرير الأولاد من مختلف المشاكل الداخليَّة، وعلى الأرجح، تسوء حالتهم. يصير الاصلاح بتقديس الأهل وتطهيرهم.

صيروا قدِّيسين ولن يكون عندكم أيَّةُ مشكلةٍ مع أولادكم. قداسة الأهل تُحرِّر الأولاد من المشاكل. يريد الأولاد أُناسًا قِدِّيسين بقربهم، مع محبَّة كبيرة، أُناسًا لن يخيفوهم ولا يكتفوا بإرشادهم، بل سيعطونهم صلاةً ويكونون لهم قُدوةً مُقدَّسة.

صَلُّوا، أنتم الأهل، صَلُّوا بصمتٍ وأياديكم مرفوعة نحو **المسيح**، معانقين أولادكم سرًّا. وعندما يُحدثون فوضى، خُذُوا بعض التدابير التربويَّة، لكن دون أنْ تضغطوا عليهم وبالأخصِّ صَلُّوا.

مَرَّاتٍ كثيرة، يجرِّحُ الأهل (وخصوصًا الأم) الولدَ لفوضى ارتكبها، ويؤنِّبونه بشدَّة. عندها ينجرح هذا الولد. يفهم الولد ويلاحظ من خلال انفعالك الداخليّ أو من خلال نظرتك الوحشيَّة له أنَّكِ تؤنِّبه وتغضب، وإن لم يكن هذا التأنيب ظاهريًّا . عندها يعتقد الولد أنَّ الأمّ لا تحبَّه. يسأل الأمّ :

– أتحبِّينني، يا أمِّي؟

– أجل، يا ولدي، أحبُّكَ.

لكنّه لا يقتنع. إنَّه قد جُرِح. تحبُّه أمَّه، ستدلِّله فيما بعد، لكن الولد يدير رأسه عن دلال أمِّه. لا يتقبَّل الغنج، يظنُّ هذا خُبثًا ورياءً لأنَّه **قد جُرِح**.

شيء آخر يؤذي الأولاد، هو إفراط الأهل في الرعاية، أي الإفراط في العناية والمبالغة في شغل البال والقلق. إسمعوا هذا الحدث:

أمٌّ كانت تشكو لي أنَّ ابنها البالغ من العمر خمس سنوات، كان لا يُطيعُها. كنتُ أقول لها: «أنتِ تُخطئين»، لم تفهم قَوْلي. وفي مرَّةٍ من المرّات ذهبنا بسيَّارة تلك الأم مشوارًا إلى شاطئ البحر وكان ابنها معنا وهناك أفلتَ الصغير من يدها وركض نحو البحر. وعلى الشاطئ تجمَّعت كومة رمل، انبسط البحر فجأة من خلفها. قلقت الأم وكادت أن تصرخ، أنْ تركض لأنَّها شاهدت الصغير على كومة الرمل ويداه ممدودتان ليتوازن. هدَّأتُ أنا من روعها، حينها أدارت ظهرها نحو الإبن وكنتُ أراقبها بطرف العين. عندما **قطع الولد الأمل من إثارة أُمِّه** ودفْعِها إلى الصراخ كالعادة، نزل هادئًا شيئًا فشيئًا واقترب منَّا.

وهذا ما حدث ! عندها تلقَّنتِ الأمُّ درسًا في التربية الصحيحة.

أُمٌّ أخرى كانت تشكو أنَّ ابنها الوحيد لم يكن يأكل أصناف الأطعمة كلَّها وخصوصًا اللبن. وكان هذا الصغير في الثالثة من عمره على وجه التقريب وكان يعذِّب أُمَّه كلّ يوم. قلتُ لها :

«ستفعلين ما يلي: ستفرغين الثلَّاجة من كُلِّ الأطعمة وتضعين مكانها كميَّة معيَّنة من اللبن وستعانون أنتم الأهل والأولاد لبضعة أيَّام. أتى وقت الطعام؟، ستعطين بطرسَ لبنًا. سوف لن يأكله. عند المساء قدِّمي له الطعامَ نفسه. في اليوم التَّالي الشيءَ نفسه. **إيه**، سيجوع فيما بعد، سيختبر شيئًا. **سيبكي، سيصرخ**. ستتحمَّلون ذلك وسيأكل اللبن فيما بعد بطيبة خاطر». هكذا حصل وأصبح اللبن الطعام المفَضَّل **لبطرسَ**.

هذا كُلَّه ليس بصعب. ولكن أُمَّهات كثيرات لا يتبعنَه فيُلقِّنَّ أولادهنَّ تربيةً سلبيّةً جدًّا. أُمَّهات يلاحقنَ أولادهنَّ دائمًا ويضغطنَ عليهم، أي يُفرِطْنَ بالعناية بهم، فَشِلْنَ في عملهنَّ. في حين أنَّه يجب عليك أنْ تتركَ

الولد يهتمُّ وحده لِتَقَدُّمِهِ، **عندها ستنجح**. عندما تلاحق أَولادكَ باستمرار، تنطلق منهم ردَّةُ فعل، **فيتكاسلون ويضعفون** وغالبًا **يفشلون في حياتهم**.

هذا النوع من الإفراط في الحماية، يترك الأولاد غير ناضجين.

قبل بضعة أيَّامٍ، أتت أُمٌّ يائسة **لفشل ابنها المتكرِّر** في امتحانات الدخول للجامعة. تلميذٌ ممتازٌ في الابتدائي، ممتازٌ في التكميلي، ممتازٌ في الثانوي. بعدها كان فشل الولد، كان الإهمال، كانت ردَّات فعلٍ غريبة.

« أنتِ تُخطئين، قلتُ للأمِّ، وأنتِ متعلِّمة! ماذا كان سيفعل الولد؟ كُلُّ السنوات **ضغط، ضغط، ضغط**: « لِتكنْ الأوّل، لا تُخَجِّلْنا، عليكَ أن تصير عظيمًا في المجتمع.....».

تراجع فجأةً، والآن لم يعد يريد شيئًا. عليكِ أنْ تُوقِفي هذا الضغط والإفراط في الحماية وعندها سترَيْن كيف يعود الولد إلى توازنه. سوف يتقدَّم حين تتركينه حُرًّا .

يريد الولد بقربه أُناسًا صلاتهم حارّة. لا أنْ تكتفي الأمّ بالملاطفة الحسِّيَّة لولدها، بل وأنْ تقدِّم في الوقت نفسه **دفء الصَّلاة**. يشعر الولد في عمق نفسه **بالدفء الروحيّ** الذي تبعثه أُمّه سريًّا له، فينجذب نحوها. يشعر بأمان واستقرار، **عندما تغمره الأمّ سرًّا بالصّلاة الدائمة، الحارّة، والمصرّة، وتحرّره ممّا يُضيِّق عليه**. تعرف الأمَّهات القلقَ، والنُصْح والكثير من الكلام، ولكن لم **يتعلَّمنَ** الصّلاة. النَّصائح والإرشادات العديدة تُسيءُ كثيرًا.

لا للكلام الكثير للأَولاد. الكلام يقرع الأذنَين، **أمَّا الصَّلاة فتذهب إلى القلب**. يُحتاج إلى صلاةٍ مع إيمانٍ وإلى مثالٍ صالحٍ ولكن دون قلق.

وفي يومٍ من الأيَّام أتتنا إلى الدير أمٌّ يائسة من وضع **ابنها يورغو**. كان ملبَّكًا جدًّا، يعود متأخّرًا ليلًا، **بصحبة زمرةٍ سيّئة الأخلاق**، وكانت حالته تسوء يومًا بعد يوم، وكانت الأمُّ تضطرب وتبكي .

قلتُ لها:

– لا تقولي أنتِ أيَّ شيءٍ، بل صلِّي فقط.

أقمنا ساعة صلاة مشتركة عند الساعة العاشرة أو العاشرة والربع، قلتُ لها أنْ تصمتَ وألَّا تسأل ابنها متى يخرج من البيت، ولا متى يعود إليه.... بل أنْ تقول له بمحبَّةٍ كبيرة: «كُلْ، يا يورغو، في الثلَّاجةِ طعامك». وألَّا تقول له غير ذلك. بصورة عامَّة أنْ تعامله بمحبَّة دون أنْ تترك الصَّلاة. بدأت الأمُّ بتطبيق ذلك، وما إنْ مرَّ عشرون يومًا حتى قال لها ابنها:

– أُمّي، لماذا لا تكلِّمينني ؟

– يورغو حبيبي، أنا لا أُكلِّمك؟

– أُمّي، تُضمرين شيئًا نحوي لذا لا تكلِّمينني.

– ما تقوله لي أمرٌ غريب، يا يورغو. كيف لا أُكلِّمك؟ ألا أُكلِّمكَ الآن؟ ماذا تريد أن أقول لك؟

أمَّا يورغو فلم يُجبها. وبعد هذا أتت الأمُّ إلى الدَير وقالت لي:

– **يروندا**، ماذا يعني هذا الذي قاله لي ابني ؟

– لقد نجحت خطَّتُنا !

– أيَّةُ خِطَّةٍ ؟

– إنّي قلتُ لكِ ألَّا تتكلِّمي معه، أنْ تُصلِّي فقط في السِّرِّ وسوف يعود الولد إلى رُشده.

– أتعتقد أنَّ هذا هو الحلّ؟

– هذا وحده هو الحلّ، قلت لها. يريد الأهمِّيَّة، يريدُ أنْ تعطيه الملاحظة: « **أين كنتَ؟ ماذا فعلتَ؟**» . أمَّا هو **فيصرخ ويُقاوِم ويعود أكثر تأخُّرًا في الليل**.

– وَاعَجَبَاهُ ! كم من الأسرار المخفيَّة!!

– أفهمتِ ذلك، والحالةُ نِصب عينَيكِ؟ أرادَ بمشاجرتكِ له، أنْ يقوم بما يحلُو له. وعدم هذه المشاجرة يُزعجه. وبدل انزعاجكِ أنتِ من سوء تصرُّفه ينزعج هو الآن بلا مبالاتِكِ واهتمامكِ .

وفي يومٍ أعلمَ **يورغو** أهله في البيت أنَّهُ سيترك عمله ليذهب إلى **كندا**. لقد قال لِرَبِّ عمله:

– « أنا تاركٌ العمل، جِدْ آخر بديلًا عَنِّي».

أمَّا أنا، فقلتُ للأهل خلال هذه الأثناء :

– نحن، علينا بالصَّلاة .

– ها هو حاضرٌ للسفر..... سأُنزِلُ به إلى الهاوية! قال الأب.

– كلَّا، لا تُزعجه، قلتُ له.

– لكنَّ الولد اتّخذ قراره بالرحيل، **يروندا**!

– لِيَرحلْ. أُعطوا ذواتكم للصَّلاة وأنا معكم.

بعد يومَين أو ثلاثة أيّام كان الأحد. باكرًا جدًّا، قال لهم يورغو:

– أنا راحلٌ، سأذهب مع أصحابي.

– حسنًا، مثلما تُريد، قالوا له.

ذهب، آخذًا أصحابه برفقة فتاتَين وشابَّيْن، واستأجروا سيَّارة واتَّجهوا بها إلى **منطقة خلكيذا**. ذهبوا إلى هنا وهنالك، بعدها وَصَلوا إلى **دَير القدّيس يوحنّا الروسيّ** ومنه أكملوا طريقهم إلى **مناطق ماندوذي والقدّيسة حنّة**، حتى وصلوا إلى **فاسيليكا**. ذهبوا ومارسوا السباحة في البحر الإيجي. أكلوا، شربوا، لَهَوْا. وبعدها أخذوا طريق العودة وكادَ الليل يُرخي سدولَهُ. كان يورغو يقود السيَّارة. وفي منطقة **القدّيسة حنّة**، اصطدم بحائط منزل. **فتشوَّهت السيّارة**. ما العمل الآن؟ ساروا بالسيَّارة رويدًا رويدًا وأتوا بها إلى **أثينا**.

وصل إلى البيت قبل بزوغ الفجر. لم يقُلْ له أهله شيئًا. أمَّا هو فارتمى على سريره ونام. وعندما استيقظ من نومه قال لوالده:

– يا أبي، **حصل ما حصل**..... يجب الآن إصلاح السيَّارة والكلفة كبيرة. قال له:

– أنتَ تعلم يا ولدي أنّني مديونٌ، وأَخواتِكَ ما زلنَ على عاتقي..... ماذا سيحِلُّ بنا؟

– ماذا أفعل أنا، يا أبي؟

– إفعل ما تريد. أنتَ بالغٌ وعاقلٌ. إرحَلْ إلى **كندا** لِتحصل على المال، إلخ...

– لا أستطيع، قال له. **يجب الآن إصلاح السيّارة.**

– لا أدري، قال له، رتِّب أنتَ أُمورك.

إستغرب الولد قَوْل أبيه ورَحَل.....

ذهب، فوجد ربَّ عملِه وقال له:

– يا سيّدي، **حصل ما حصل معي**. لن أَترك عملي، فلا تتعاقد مع غيري.

– حسنًا، حسنًا، يا بُنيَّ!!

– ولكنّني أُريد مالًا.

– نعم، ولكنَّكَ تريد الرَّحيل. وتوقيع والدِك واجبٌ.

– أنا سأُوقِّع لكَ. والدي لا يتدخَّل. هذا ما قاله لي. سأعمل أنا وسأفيكَ مالكَ.

أليس ما حصل أعجوبة من الله؟ وعندما عادت الأمُّ مجدَّدًا قلتُ لها:

– نجحت الطريقة التي اتَّبعناها وصلاتنا سُمِعت من الله. والحادث كان من الله وسيبقى الولدُ في البيتِ، وسوف يعود إلى رُشده. هكذا حصل من خلال صلاتنا.

حصلت أُعجوبة. صامَ الأهل وأقاموا الصَّلاة والصَّمت ونجحوا. ثمَّ بعد فترة قصيرة أتاني الولد دون أن يُوجِّهه أحدٌ من أهله. أصبح **يورغو** عُنصرًا جيِّدًا وهو يعمل الآن في **شركة طيران وأسّس عائلةً صالحةً**.

كُلُّ شيءٍ يأتي من الصَّلاة، من الصَّمت ومن المحبَّة. أَفهمتم نتائج الصَّلاة ؟ محبَّة في الصّلاة، محبّةٌ في المسيح. هذه هي التي تفيد بالفعل. بقدر ما تحبُّون الأولاد محبَّةً إنسانيَّةً – محبّة تكون غالبًا عاطفيَّة ومن الأهواء – بالقدْر نفسه سيتلبَّكون ويكون تصرّفهم سلبيًّا. لكن، عندما تكون المحبَّة فيما بينكما ونحو أَولادكم مسيحِيَّةً ومقدَّسةً، عندها لن يكون عندكم أيَّةُ مشكلة. قداسة الأهل تخلِّص الأولاد.

حتى يتحقَّق هذا الأمر، يجب أنْ تؤثِّر النعمة الإلهيَّة على نفوس الأهل. لا أحد يتقدَّس وحده. النعمة الإلهيَّة نفسها ستُنير، ستولِّد الحرارة والنشاط في نفوس الأولاد.

مرَّاتٍ كثيرة يتَّصلون بي هاتفيًّا، ومن الخارج ويسألونني عن أَولادهم وعن مواضيع أُخرى.

إتَّصلت بي اليوم من **ميلانو** أُمٌّ وسألتني كيف تتصرَّف مع أولادها؟ فقلتُ لها ما يلي:

– «عليكِ أنْ تُصلِّي وعند الضَّرورة أنْ تتكلَّمي مع الأولاد بمحبَّة. عليكِ، زيادةً، أنْ تُصلِّي، مع كلامٍ قليلٍ يُوَجَّه إليهم. صلاة كثيرة وكلام قليل مع الجميع. علينا ألَّا نُصبح مُزعجين، بل أن نُصلِّي سِرًّا، وبعدها نتكلَّم مع الآخر، والله سيؤكِّد لنا في داخلنا إذا كان كلامنا مقبولًا لدى الآخرين. إنْ لم يكن هكذا فلن نتكلَّم. سوف نُصلِّي فقط سرًّا. لأنَّهُ إن تكلَّمنا نصبح مُزعجين، وَنُسَبِّب رَدّةَ فعلٍ للآخرين، وفي بعض الأحيان نُثير غضبهم، لهذا من الأفضل أنْ يتكلَّم الإنسان سرًّا في قلوب الآخرين عن طريق الصَّلاة السرِّيّة مِنْ أنْ يتكلَّم في الأُذن».

إسمعي ما أقوله لكِ:« عليكِ أنْ تصلِّي أوَّلًا وبعدها أنْ تتكلَّمي، هكذا إفعلي مع أَولادك. إنْ كُنتِ تعطيهم النصائح باستمرار، ستكونين ثقيلة الظلِّ عليهم، وعندما سيكبرون، سيشعرون بنوعٍ من الضغط. عليكِ إذًا أن تُفضِّلي الصَّلاة. أنْ تُكلِّميهم بالصَّلاة. وكُلُّ ما تُريدين قوله لهم: قوليه للهِ، والله سوف يتكلَّم في داخلهم. هذا يعني أنَّهُ يجب ألَّا تنصحي أولادكِ بالصَّوتُ الذي يسمعونه في آذانهم. تقدرين أنْ تفعلي هذا، لكن قبل كُلِّ شيء عليكِ أنْ تُكلِّمي الله عن أولادكِ. أنْ تقولي: « **يا رَبِّ يسوع المسيح، أَنِر أولادي الصغار. أنا أُقدِّمهم إليك. أنتَ أعطَيتهم لي، وأنا ضعيفة، لا أستطيع أنْ أُوجِّهَهُم . لهذا، أرجوكَ، أَنِرهُم**». الله سيُكلِّمهم وسوف يقولون: «**آه ! كان ينبغي لي ألَّا أُزعج الأمّ بالذي فَعَلْتُهُ!**» .وهذا سيخرج من داخلهم بنعمة الله.

هذا هو التصرُّف الكامل. **أنْ تتكلَّم الأمّ مع الله والله يُكلِّم الولد**. إذا لم يكن هذا، **تقولين، تقولين وتقولين**... كُلَّ شَيءٍ «**في الأذن**»، وفي النهاية يصبح الكلام **نوعًا من الضغط**. وعندما يكبر الولد وتبدأ ردَّةُ فعله، أي يثأر بطريقة ما من أبيه وأمِّه الَّذين **ضغطا** عليه ، في حين أنَّ الكمال واحدٌ ، وهو أنْ تتكلَّم المحبّة **بالمسيح**، وبقداسة **الأب والأم**. إشعاع القداسة يُصَيِّر أولادًا صالحين، **لا المحاولة البشريَّة** .

عندما يكون الأولاد **مجروحين في نفوسهم من جرَّاء مسألة خطيرة**، فلا تتأثَّروا إذا كانت **ردَّةُ فعلهم وألفاظهم سَيِّئة**. في الحقيقة، لا يريد الأولاد ذلك، لكنهم لا يقدرون أنْ يفعلوا عكس ذلك في اللَّحظات الصَّعبة. بعدها **يندمون**. لكن إنْ أنتم تنفعلون وتغضبون، **تَصِيرون واحدًا مع الشرّير فيلهو بكم جميعًا**.

فَلْنَرَ الله في وجه الأولاد ولْنُعطِ محبَّتَهُ لهم..... ولْيَتعلَّم الأولادُ الصَّلاة. لكي يُصلِّي الأولاد، يجب أنْ يكون عندهم **دَمُ أهلٍ يُصلُّون**. وهنا، يقع بعض الناس خارج جوهر المعنى ويقولون:

« طالما أنَّ الأهل يُصلُّون، هم أتقياء، يطالعون الكتاب المقدَّس، وقد غَذُّوا الأولاد «وَرَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ.» (أف ٦:٤)، إذًا، يكون هؤلاء أولادًا صالحين». ومع ذلك نرى نتائج عَكْسيَّة **بسبب الضغط**. وليس بكافٍ أنْ يكون الأهل أتقياء. عليهم **ألَّا يضغطوا** على الأولاد، **ليجعلوهم بالقُوَّة صالحين**. مِنَ المحتملِ أنْ نُبعد الأولاد عن المسيح. وذلك أنْ نعيشَ الفروض الدينيَّة بأنانيَّة. لا يُريد الأولاد ضغطًا. لا تُلزموهم أن يتبعوكم إلى الكنيسة. باستطاعتكم القول لهم : «**مَن يشاء؛ بمقدوره أن يأتي معي الآن أو لاحقًا** ».

إتركوا الله يتكلَّم في نفوسهم. **وسبب الضغط** هو الذي يجعل الأولاد عندما يكبرون، مقاومينَ – لبعض الأهل الأتقياء – ; فيبتعدون عن الكنيسة ويتركون كُلَّ شيء ويسرعون إلى أماكن أخرى لإشباع رغباتهم الذاتيَّة وهذا بالتأكيد، **ما يسبِّبه الضغط** الذي يمارسه الأهل «**الصالحون**» على الأولاد. الأهل «**الأتقياء**» شكلًا، الذين اعتنوا لجعل أولادهم «**مسيحيِّين صالحين**» عن طريق محبَّتهم البشريَّة، **ضغطوا عليهم وصار عكس ما رغبوا**.

يُضْغَطُ الأولاد عندما يكونون صغارًا، وعندما يصبحون في السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة من عمرهم، يصلون **إلى النتيجة العكسيَّة** ... يبدأون – من ردَّة فعلٍ – بالذهاب مع زُمرٍ سيِّئة الأخلاق ويقولون أقوالًا فاسدة. ولكن، عندما ينمو الأولاد داخل الحريَّة، و

يشاهدون في الوقت نفسه المثَل الصالح عند الكبار، نُسَرّ برؤياهم ونفرح بهم. **هذا هو السرّ أنْ تكون صالحًا**، أن تكون قدّيسًا لكي تُوحِيَ وتَشِعَّ. يبدو أنَّ إشعاع حياة الأولاد نتيجة إشعاع الأهل. يُصِرُّ الأهل: «**هيَّا** اعترِف، **هيَّا** تناوَل، **هيَّا** افعل..... **النتيجة لا شيء**».

هل يراك ولدُك فاعلًا ما تقوله له؟ **ما تعيشه**، تَشِعُّه أنتَ. أيَشِعُّ **المسيح** في داخلكَ؟ هذا ينتقل إلى ولدك، وهنا يكمن السرُّ. وإنْ تحقَّق هذا، وولدك ما زال صغيرًا في السِنِّ، لن يحتاج أنْ يتعب كثيرًا عندما يكبر. بناءً على ما سبق، يستخدم **سليمان الحكيم** تحديدًا صورة رائعة مُشدِّدًا على المعنى المتضمِّن **الإنطلاقة الجيّدة، البداية الحسنة، الأساس المتين**. يقول في مكان ما:«المُبَكِّر فِي طَلَبِهَا (**الحكمة**) لاَ يَتْعَبُ، لأَنَّهُ يَجِدُهَا جَالِسَةً (**بالقرب**) عِنْدَ أَبْوَابِهِ.» (حكمة ٦: ١٤). «المُبَكِّر فِي طَلَبِهَا » هو الإنشغال بها – أي الحكمة – من عمر الشباب . الحكمة هنا هي **المسيح** . كلمة: «**باري**» «πάρε» تعني «موجود بالقرب».

عندما يكون الأهل قدّيسين وينقلون هذه القداسة إلى الولد ويهبونه تربية في الرَّبِّ، إذ ذاك لا يتأثَّر الولد بمحيطه تأثُّرًا سيِّئًا، لأنَّ الحكمة أي **المسيح** ستكون على عتبة بابه. لن يتعب لكي يمتلكها.

يبدو من الصعب جدًّا أنْ تكون **صالحًا**، أمَّا في الحقيقة فهو سهلٌ جدًّا، عندما تنطلق، وأنتَ صغير، بمسالك حياة صالحة، وعندما تكبر لا يُحتاج إلى التَّعب، لأنَّك تمتلك الصَّلاح في داخلك وتعيشه. أنتَ لا تتعب، أنتَ قد عِشته، **فهو إرثك**، الذي تحفظه وترعاه في الوقت ذاته طيلة حياتك – إذا انتبهت عليه (حافظتَ عليه) . . .

الحاصل مع الأهل ممكنٌ أنْ يحصل مع التربويّين. وفي المدرسة تستطيعون أنْ تساعدوا الأولاد بالصَّلاة والقداسة. يمكن أنْ تظلِّلهم نعمة الله وبها يصيرون أولادًا صالحين. لا تحاولوا تصحيح الحالات السيِّئة بطرق بشريَّة، لأنَّ ذلك لا يُؤتي بأيِّ نفعٍ. بالصَّلاة فقط ستجنون النتائجَ الحسنة. اطلبوا النعمة الإلهيَّة للجميع، لتذهب إلى أعماق نفوسهم لتُبَدِّلهم وتغيِّرهم. هذا يكون مسيحيًّا .

أنتم التربويُّون تنقُلون **القلق** سرًّا إلى الأولاد وتُؤثِّرون عليهم من حيث لا تدرون. **بالإيمان يرحل القلق**. نقول في الطلبات السلاميَّة في القداس الإلهيّ: «**لنودعْ أنفسنا وبعضنا بعضًا وكلَّ حياتنا للمسيح الإله**».

قابلوا الأولاد بمحبَّة الأطفال المميَّزة. هكذا، إنْ أحبُّوكم، ستستطيعون اقتيادهم إلى جانب **المسيح**. ستصبحون أنتم الواسطة. لِتَكُنْ محبَّتكم صادقة. ألَّا تحبُّوهم محبَّةً بشريَّة كما يفعل الأهل عادةً، بهذا لن تساعدوهم. **محبَّة في الصَّلاة، محبَّة في المسيح**. هذه هي التي تفيد بالفعل. صَلُّوا من أجل كُلِّ ولدٍ ترَونه **والله** سيرسل نعمته ويوَحِّده معه. قبل أنْ تدخلوا الصفَّ، وخصوصًا الصعبة منها، قولوا صلاة **يسوع**: «**يا ربِّ، يسوع المسيح، إرحمني أنا الخاطئ**». وعندما تدخلون الصفَّ اغمروا بنظرتكم كلَّ الأولاد، صلُّوا ثمَّ تكلَّموا مقدِّمين لهم كُلَّ ذواتكم. عندما تقومون بهذه التقدمة **في المسيح**، سوف تفرحُون. هكذا ستتقدَّسون أنتم مع الأولاد. ستعيشون داخل **محبّة المسيح وداخل الكنيسة**، لأنّكم تصبحون صالحين داخل العمل.

إذا حدث وخلق تلميذٌ مشكلة، وجِّهوا أولًا ملاحظة عامَّة قائلين:

– أيُّها الأولاد، أتينا إلى هنا للدرس، للعمل الجدّي. أنا هنا إلى جانبكم لأساعدكم. وأنتم تتعبون لتنجحوا في الحياة. وأنا، الذي أحبُّكم كثيرًا كثيرًا، أتعب من أجلكم. لهذا، أرجوكم أنْ تحافظوا على الهدوء لِنصل إلى هدفنا.

لن تنظروا إلى الذي أساء التصرُّف. إذا استمرَّ، تتوجَّهون إليه لا بغضب بل بجِدِّية وحزم. ستنتبهون كيف تُثبِتون ذواتكم في الصفِّ، لتستطيعوا التأثير على نفوسهم . لا يُخطئ الأولاد الصعاب . هذا يعود إلى الكبار.

لا تقولوا للأولاد الكثير **عن المسيح، عن الله**، لكن صلّوا **لله** من أجلِهم. الكلام يطنُّ في الآذان، أمَّا الصَّلاة **فتذهب إلى القلب**. إسمعوا سرًّا واحدًا: لا تعطوا درسًا في اليوم الأوَّل الذي تدخلون فيه الصفَّ. تكلَّموا معهم بعذوبة كلمة كلمة. تصرَّفوا معهم بمحبَّة . في البداية، لا تكلِّموهم أبدًا عن **الله** ولا عنِ النفس. بل في المرَّات اللّاحقة. تهيَّأوا جيِّدًا في اليوم الذي ستكلِّمونهم عن **الله** قائلين لهم:

هناك موضوع يشكّ فيه الكثيرون. هو موضوع «**الله**». ما رأيكم فيه؟ ثمّ تبدأ المناقشة.

وفي يوم آخر كلِّموهم عن موضوع «**النَّفس**».

– هل هناك «**نفسٌ**» ؟

ثمَّ تكلَّموا عن الشرِّ من ناحية فلسفيَّة. قولوا لهم إنَّنا نملك ذاتَين، الخيِّرة والشرّيرة. يجب أنْ نزرع الخَيِّرَ فهي **التقدُّم، الصَّلاح، المحبّة** . يجب أنْ نوقظَ هذا كي نصبح أُناسًا محقّين في المجتمع. تذكَّروا ذلك القول: «**يا نفسي، يا نفسي، إنهضي، لماذا ترقدين؟**» (قنداق قانون التوبة الكبير للقديس أندراوس الكريتي)، لا تقولوا لهم هكذا بل بكلمات أُخرى على الشكل التَّالي: «يا أولاد، كونوا يقظين من أجل العلم، من أجل الصَّلاح، من أجل المحبَّة. فقط المحبَّة تجعل كُلَّ شيءٍ جميلًا، وتملأ حياتنا وتُكسبها معنىً وجمالًا . **الذَّات الشرِّيرة تريد الخمول، الإهمال**. لكن هذا يجعل الحياة **بلا مذاق، بلا معنى ودون جمال**».

لكن، كُلُّ هذا، بحاجة إلى استعداد. المحبَّة تتطلَّب تضحيات وفي كثير من الأحيان تضحية وقتٍ. أُعطوا الأولويَّة للتَّحضير لتكونوا جاهزين عند تقديم ما أنتم بصدد إعطائه للأولاد وحاضرين لقوله بمحبَّة وقبل كُلِّ شيء **بفرح**. اظهروا لهم محبَّتكم واعرفوا ماذا تريدون وماذا تقولون لهم. ولكن، هذا كلُّه يتطلَّب فنًّا (أُسلوبًا مميَّزًا)، كيف ستتصرَّفون مع الأولاد. بناءً عليه، سمعتُ شيئًا عذبًا. إستمعوا إليه:

هناك أستاذ، كان مسرورًا من كُلِّ الأولاد، لكنَّه كان يعاني من فوضى تلميذٍ مشاغبٍ، وكان يريد أنْ يطرده من المدرسة. في مثل هذه الأثناء، أتى أستاذ شاب واستلم الصفَّ. **إسْتَعْلَمَ جيِّدًا عن التلميذ المحدَّد**. عرف الاستاذ الجديد أنَّ ذاك التلميذ كان يحبُّ بشغفٍ ركوب الدرَّاجة. في اليوم الثاني، عندما دخل الصفّ، قال :

– أيُّها الأولاد، لديَّ مشكلة. أسكن بعيدًا، وأُعاني من أَلَمٍ في رِجْلَيَّ، يمنعني من المشي وأودُّ أن أستعمل درَّاجة، لكنني لا أعرف استخدامها.

هل يقدر أحدٌ منكم أنْ يعلّمني؟

حسنًا، أسرع التلميذ المشاغب، وقال:

أنا، سأعلّمك!

– أتعرِف ذلك؟

– نعم، أعرِف .

ومنذ ذلك الوقت أصبحا صديقَين عزيزَين إلى حدِّ أحزن الأستاذ القديم، الذي كان يراه. شعر أنَّهُ لم يكن كفوءًا لفرضِ ذاته على التلميذ.

تحدث مرّاتٍ كثيرة أنْ يوجد في المدرسة أولاد يتامى. اليُتمُ شيء صعب. كلُّ مَن حُرِم من أهله، وفي عمرٍ مبكرٍ، أصبح بائسًا في الحياة. إنْ حدث واكتسب والِدَيْن روحِيَّين، المسيح والكنيّة القداسة، أصبح قدِّيسًا. تصرَّفوا مع الأولاد اليتامى بمحبَّة وتفَهُّم، واجتهدوا خصوصًا بربطهم بالمسيح وبالكنيسة .

الدواء والسرّ الكبير لتقدّم الأولاد هو التَّواضع. الثِّقة بالله، تُعطي ضمانةً مطلقةً. الله هو الكلّ. لا يستطيع أحدٌ القول بأنَّهُ هو الكلّ. هذا القول يدعم الأنانيَّة. الله يريد أنْ نقود الأولاد إلى التَّواضع. لن نقوم نحن بشيءٍ ولا الأولاد بدون التَّواضع. علينا أن ننتبه، عندما تُشجّعون الولد، يجب ألَّا تقولوا له:« أنتَ ستحقّق كُلَّ شيء، أنت مهمّ، أنت شابٌ، أنت شجاعٌ، أنت كامل...!» بهذا الكلام لا تُفيدون الولد.

يمكنكم أنْ تطلبوا منه الصَّلاة. قولوا له: « يا بُنيَّ، المواهب التي لديك نِعَمٌ قد وهبك إيّاها الله. صلِّ لِيُعطِيَك الله قدراتٍ لكي تزرعها وتُنمِّيها وتنجح بها. ليُعطيَك الله نعمته». بهذا يكون الكمال.

على الأولادِ أنْ يطلبوا مساعدة الله في كلّ المواضيع. المديح للأولاد مُؤْذٍ. ماذا تقول كلمة الله؟: «يَا شَعْبِي، مُرْشِدُوكَ مُضِلُّونَ، وَيَبْلَعُونَ طَرِيقَ مَسَالِكِكَ.» (أشعياء٣:١٢). كُلُّ مَن يمدَحُنا، يُضِلُّنا ويُفسد طُرُقَ حياتنا.

كم هي حكيمة أقوال الله! المديح لا يُهيِّئ الأولاد لأيّة صعوبة في الحياة، فينشأون غير متأقلمين إجتماعيًّا فيتيهُون وفي النهاية يفشلون. الآن، فَسَدَ العالم. يقولون للولدِ كُلَّ أنواع المديح. علينا ألَّا نزعجه ولا نعاكسه ولا نضغط عليه . يتلقَّى الولد هذا ولكنَّه لا يستطيع أنْ ينفعل حقًّا حتى و في أصغر صعوبة. وفي أيَّةِ لحظة يعاكسه أحد، ينفجر غضبًا، فيَفْقُدُ طاقته .

الأهل هم أوَّل مَن يتحمَّل فشل الأولاد في الحياة ومن ثَمَّ المعلِّمون والأساتذة، لأنَّهم يمدحونهم باستمرار. يقولون لهم أقوالًا ذاتيَّةً وأنانيَّةً. لا يجلبونهم إلى روح الله، يُبعدونهم ويغرّبونهم عن الكنيسة.

عندما يكبرون قليلًا ويذهبون إلى المدرسة مع هذه الأنانيَّة، يهربون من الديانة ويحتقرونها، يفقدون الإحترام تجاه الله، تجاه الأهل وتجاه الجميع. يصبحون مقاومين، وقساةً، لا يشعرون بالألم، ولا يحترمون، لا الديانة ولا الله. ونكون هنا قد خَرَّجْنا إلى الحياة أنانيِّين لا مسيحيِّين .

لا يُبنَى الأولاد بالمديح المتواصل. بل يُصبحون أنانيِّين ومحبِّين للمجد الباطل والفارغ. يرغبون أن يُمتَدَحُوا من الجميع باستمرار في حياتهم كلّها حتى ولو كان المديح كَذِبًا. تعلَّم الجميع القول مصحوبًا بالأكاذيب وللأسف ويتقبَّلها محبُّو المجد الفارغ وهي غذاؤهم، « ويُؤيِّدون قولها ولو كانت كذبةً ولو كانت مذمّة». الله لا يريد ذلك. الله يريد الحقيقة. لكن، هذا و للأسف لا يفهمه الجميع ويفعلون عكسه بالكُلِّيَّةِ.

عندما تَمدح الأولاد بصورة متواصلة دون تمييز، ينزعجون ممّن يعاكسهم. تثيرهم سِهام الأنانيَّة التي اعتادوها من الصِّغر من ضلال مديح الأهل والمعلِّمين، ربَّما يتقدَّمون في الدروس، لكن ما الفائدة؟ في الحياة يخرجون أنانيِّين وغير مسيحيِّين. الأنانيُّون لا يقدرون أبدًا أنْ يكونوا مسيحيِّين. يريد الأنانيُّون باستمرار أنْ يمدحهم الجميع، أنْ يحبُّهم الجميع، أنْ يقول عنهم الكُلُّ أقوالًا حسنة وهذا شيء لا يريده إلهنا، كنيستنا، ولا مسيحنا.

لا تريد ديانتنا هذه الطريقة، هذه التنشئة. بل على العكس، تريدهم أنْ يتعلَّموا من الصِّغر عن طريق الحقيقة .

حقيقة المسيح تؤكِّد على أنَّ، إذا امْتدحتَ إنسانًا تجعله أنانيًّا. الأنانيّ هو المرتبك، الأنانيّ مُقادٌ من الشيطان ومن الروح الشرّير. وهكذا، يكون عمله الأوّل – وهو ينمو ضمن الأنانيَّة – أنْ ينكر الله وأن يكون إنسانًا أنانيًّا غير متآلف داخل المجتمع. يجب أنْ تقول الحقيقة، أنْ يتعلّمها الانسان. وإلَّا تدعمه في جَهْلِ عِلْمِهِ. عندما تقول الحقيقة لواحدٍ ما، يُرشَد هذا إلى مَوقعه، ينتبه، يسمع الآخرين ويضبَط نفسه، وهكذا، ستقول الحقيقة إلى الولد، تلومُه، لِيُدرك أنَّ ما يقوم به غير صالح. ماذا يقول سليمان الحكيم:«مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتِ ابْنَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ.» (أمثال١٣:٢٤). لكن، لا أنْ تضربه بالعصا . عندها نبتعد عن الحدود ويصير العكس.

نقود الأولاد بالمديح منذ صِغرهم إلى الأنانيَّة. والأنانيّ يمكنك أن تسخر منه، يكفي أن تقول له إنَّهُ صالح، أن تنفخ أَنَاهُ. فيجيبك: « آه، هذا الذي يمدحني هو إنسان صالح».

ليست هذه أشياءُ حقَّة. لأنَّ الانسان يكبر مع الأنانيَّة، يبدأ الإرتباك في داخله، يعاني، ولا يعرف ماذا يفعل؟ الأنانيَّة هي سبب عدم استقرار النَّفس، حتى أطباء النَّفس، إنْ فتَّشُوا عن عدم هذا الإستقرار، سيجدون أنَّ الأنانيّ هو إنسان مريض.

يجب ألَّا نمدح أبدًا الناس العائشين معنا وألَّا نلاطفهم، بل علينا أن نقودهم إلى التَّواضع، وإلى محبَّة الله. كما ولا نطلب نحن محبَّة الآخرين بمدحِنا لهم . لِنتعلَّم أنْ نُحِبَّ، لا أن نطلب المحبَّة من الآخر.

لِنحبَّ الجميع ونقوم بقدر المستطاع بتضحياتٍ كبيرةٍ دون مقابل لكافة الإخوة في المسيح، دون أن ننتظر مَدْحًا ومحبَّة منهم. وهؤلاء سيُقدِّمون لنا ما يقوله الله لهم. إنْ كانوا هم مسيحيِّين، يعطون مجدًا لله، لأنَّنا وُجِدْنَا معهم أو ساعدناهم أو قلنا لهم كلمةً جميلةً.

وهكذا عليكم أنْ تقودوا أولاد المدرسة. هذه هي الحقيقة، وبغير ذلك لا يُصبحون متآلفين مع الآخرين. لا يعرفون ماذا يفعلون ولا أين يسيرون، وسبب ذلك هو نحن.

لم نَقُدْهم إلى الحقيقة، إلى التَّواضع، إلى محبَّة الله. جعلناهم أنانيِّين وها هي النتيجة الآن !

هناك أولاد يأتون من صِغرهم من أهل متواضعين، كلَّموهم عن الله وعن **التَّواضع المقدَّس**. هؤلاء الأولاد لا يأتون بمشاكل مع الناس العائشين معهم. لا يغضبون عندما تشير إلى غلطهم، بل يحاولون أن يُصحِّحوه، ويصلُّون إلى الله أن يساعدهم كي لا يصبحوا **أنانِيِّين**.

أنا، ماذا أقول لكم؟ عندما قد ذهبتُ إلى **الجبل المقدَّس**، زرتُ آباءً شيوخًا كثيريّ القداسة. هؤلاء لم يقولوا لي أبدًا كلمة «**پراڤوا**» كانوا ينصحونني دائمًا كيف أُحبُّ الله وكيف أكونُ **متواضعًا**. أن أسأل الله لكي يقوِّيني في نفسي و أنْ أحبَّه كثيرًا. ولم أكن أعرف هذا ال «**پراڤوا**» وما طلبته أبدًا. على العكس، كنتُ أنزعج إذا لم يَلُمْني آبائي الشيوخ. «**كنتُ أقول : بالله، لم أجد آباءً شيوخًا صالحين!**». كنتُ أريد أنْ يعدِّبوني، أنْ يلوموني، أنْ يتصرَّفوا معي بقساوة. هذه الأمور التي أقولها لكم الآن، إنْ سمعها مسيحيٌّ، ماذا سيقول؟ سيفقد صوابه وسيرفضهم.

ولكن، هذا هو **الصحيح، الوضيع، النقيّ**. لم يقلْ لي أهلي أبدًا كلمة «**پراڤوا**» وما كنت أرغب بها ال «**پراڤوا**» لهذا، كُلُّ ما كنتُ أقوم به، كان دون مقابل. والآن عندما يمدحني الناس، **أشعر بامتعاضٍ كبير**. ماذا أقول لكم.....أنغلق في داخلي، عندما يقول الآخرون لي: «**پراڤوا**» لكن، لم تؤْذِني هذه الكلمة لأنّني **تعلَّمْتُ التّواضع**. والآن، لماذا لا أُريد أن يمدحوني؟ لأنَّني أعرف أنَّ المديح يجعل الإنسان فارغًا ويطرد نعمة الله. ونعمة الله تأتي فقط **بالتّواضع المقدَّس**. الإنسان المتواضع هو الإنسان الكامل. أَليست هذه كلُّها جميلةً؟ أَليست حقيقيَّة؟.....

إذا قلتَ كُلَّ هذا لأيِّ إنسان، يُجيب: «ماذا تقول يا صاحبي، إن لم تمدح الولد فليس بمقدوره أن يدرس، **لن، ولن، ولن ...**». نعم، يقع هذا، لأنَّنا نحن هكذا ويكون الولد حصيلة عملنا. أي إنَّنا قد ابتعدنا عن الحقيقة. **الأنانِيَّة** أخرجت الإنسان من الفردَوس، هي **شرٌّ عظيم**. الناس الأوّلون، **آدم وحوّاء**، كانوا بسطاء ومتواضعين، لهذا، كانوا يعيشون في الفردَوس. لم يكن عندهم **أنانِيَّة**. كان عندهم، كما يُقال في اللغة اللاهوتيّة، الولادة الأصليَّة – αρχέγονος Archégono – – عندما نقول الولادة الأصليّة، نقصد النِّعَم التي أعطاها الله في البدء، عندما كَوَّن الإنسان. يعني: **الحياة، عدم الموت، الضّمير، الإكتفاء، المحبّة، التّواضع، إلخ...**

بعدها، **حقَّق الشيطان نجاحه بالمديح وضلّلهم. امتلأوا أنانِيَّة**. لكنَّ طبيعة الإنسان، كما جبلها الله في البدء هي طبيعة **تواضع** . في حين أنَّ **الأنانِيَّة** شيء غير طبيعيٍّ، **هي مرض، هي ضدّ الطبيعة**.

حسنًا، عندما نخلق نحن عند الولد «**الأنا الفائق**» عن طريق المديح، ننفخ فيه **الأنانِيَّة**، ونؤذيه كثيرًا، ونجعله أكثر مَيْلًا **للأشياء الشيطانيَّة**. وهكذا مع تَنْمِيَتِنَا له «**الأنا الفائق**»، نُبعده عن كُلِّ قِيَم الحياة.

أَلَا تعتقدون أنَّ هذا هو سبب ضياع الأولاد وإثارة الناس؟

السَّبب هو **الأنانِيَّة** التي قد زرعها الأهل فيهم ونشأوا – هُمْ – (أي الأهل) عليها.

الشيطان هو الأنانِيُّ وكوكب الصبح الأكبر، أي إنَّنا **نعيش الشيطان** في داخلنا، لا **التَّواضع**.

التَّواضع هو من الله، هو شيء ضروريٌّ لنفس الإنسان، كما وإنَّهُ شيءٌ عُضوي. وعندما ينقص **التَّواضع** يكون كما لو نقصَ القلب من الجسد. القلب يُعطي الحياة لبُنية الإنسان **والتَّواضع** يُعطي حياة للنَّفس. الإنسان **بأنانيّته** في النهاية، **شريكٌ مع الروح الشرّيرة**، أي إنَّه ينمو مع **روح الشرّ** لا مع الصّالح.

هذا ما استطاع **الشيطان** أنْ يفعله، حوَّل الأرض **جحيمًا**، كي لا نستطيع أنْ نتفاهم فيما بيننا. **ما الذي حلَّ بنا ولا نفهمه؟**

أَرأيتم كيف **ضُلِّلْنَا** ؟ حقًّا، أرضُنا وعصرُنا أضحيا مستشفى للأمراض النفسيّة! ولا نفهم سبب ذلك؟ الكلُّ يتساءل:« **ماذا حلّ بنا؟، أين نحن ذاهبون؟ لماذا شرد أولادنا في الطرقات؟ لماذا رحلوا من بيوتهم، لماذا تخلُّوا عن الحياة، لماذا تركوا ثقافتهم؟ لماذا، لماذا كُلُّ هذا؟....**»

استطاع الشيطان أنْ يُخفِيَ ذاته وأنْ يجعل الناس يستخدمون أسماءَ أخرى. يقول غالبًا **الأطبّاء ومُحَلِّلُو النفس** عندما يمرض الانسان: «**آه! عندك عصبيّة!**» أو ما يشابهها، «**آه! عندك قلق!**» وما إلى ذلك. لا يعترفون بأنَّ **الشيطان** هو الذي يحرِّك ويثير **الأنانِيَّة** عند الإنسان. ولكن **الشيطان** موجود، هو **الروح الشرّير**. إنْ قلنا لا يوجد **الشيطان**، نكون كمن **نرفض الإنجيل** الذي يتكلَّم عنه. هذا هو **عَدوُّنا، محاربُنا** في الحياة، **معاكس المسيح**، ويقال عنه **ضدُّ المسيح**.

أتى **المسيح** إلى الأرض، ليُحرِّرنا **من الشيطان** ويمنحنا **الخلاص**.

النتيجة التي نستخلصها هي: علينا أنَّ نُعلِّم الأولاد أنْ يعيشوا **بتواضع** وببساطة، و ألَّا يطلبوا المديح وال «**پراڤوا**». لِنعلِّمهم أنَّ **التَّواضع** موجود وهو صحّةُ الحياة.

تفكير مجتمع اليوم يُسيء إلى الأولاد. له نفسيّةٌ أخرى، تربيةٌ أخرى، تتوجَّه إلى أولاد **ملحدين**.

هذا التفكير يقود إلى الإستقلاليَّة. النتائج ظاهرة عند الأولاد وعند الشباب الذين يصرخون اليوم ويقولون: «**يجب أنْ تَفْهَمُونَا!**». يجب ألَّا نذهب إليهم، بل على العكس، سنُصَلِّي من أجلهم، سوف نقول الحقَّ، سنعيشه، سنَعِظُهُ، لكن لا نتأقلم بروحهم. ألَّا نُفسد عظمةَ إيماننا. ليس من المعقول مساعدتهم في تبنِّي تفكيرهم. يجب أن نكون ما نحن وأن نكرز بالحقيقة وبالنور.

من الآباء الروحيِّين يتعلَّم الأولاد. تعليم الآباء الروحيِّين يُعلِّم أولادنا عن **الاعتراف**، عن **الأهواء**، عن **الشّرور**، كيف كان ينتصر القدِّيسون على **ذواتهم الشرّيرة**. ونحن نضرع إلى الله لكي يسكن في داخلهم.

المرجع: حول تنشئة الأولاد، الأب برفيريوس الرائي، نشرة رقم ٢٣، دير مار ميخائيل نهر بسكنتا، ترجمة مينرفا معلوف.

دير اللافرا الكبير للرُّوم الأرثوذكس
جبل آثوس - اليونان

دير اللافرا الكبير هو أقدم وأكبر دير نشأ في **جبل آثوس**. **اللافرا** هنا يعني ديرًا فيه عددٌ كبيرٌ من الرهبان. بناءُ هذا الدير يقوم على نتوء صخري في جنوب شرق **آثوس** عند انحدار الجبل تدريجًا نحو البحر بتلالٍ صغيرة خضراء. يبعُد الدير عن الشاطىء، المحمي ببرجٍ، حوالي العشرين الدقيقة سيرًا على الأقدام، أمَّا برًّا فيبعُد الدير عن **كاريس العاصمة** ٧ ساعات.

تاريخ الدير

في العام **٩٦٣م** باشر **القدِّيس أثناسيوس الآثوسي** (يُعيَّد له في ٥ تموز شرقي) بتأسيس **دير اللافرا**. هذا الأخير كان راهبًا أخذَ نذوره في **لافرا كيميناس** على يد رئيس الدير هناك، **القدِّيس ميخائيل مالينوس** *(Michel Maleinos)* (يعيّد له في ١٢ تموز شرقي)، **هو خال الأمبراطور نيقيفوروس فوقاس** (أخُو أُمِّهِ). **أثناسيوس وفوقاس** كانا صديقَيْنِ حميمَيْنِ. وقد طلب **فوقاس** من **أثناسيوس** أنْ يُؤسِّس **ديرًا** في **جبل آثوس** قُرب المنسك الذي كان يقيم فيه طلبًا للوحدة. وعَدَ **فوقاس القدِّيس أثناسيوس** بأنَّهُ سوف يلحق به ليترهَّب هناك. رغم تحفُّظ **القدِّيس أثناسيوس** بادىء الأمر، باشر بإنشاء الدير. في سيرته أنَّهُ سَيَّجَ أرض الدير ومن ثم أخذ ببناء كنيسة الدير الأساسية، «الكاثوليكون»، وبعد ذلك أنشأ القلالي. كُلُّ هذا لم يكن ليحصل لولا تبرُّعات **الأمبراطور نيقيفوروس فوقاس** الذي لم يَفِ بوعدِهِ أنْ يصيرَ راهبًا، ممَّا حمله على التعويض عن ذلك بالأموال للبناء والمؤن لأولِ ثمانين راهبًا في الدير.

ومن الجدير بالذكر، أنَّ **القديسة والدة الإله** ظهرت **للقديس أثناسيوس** مطمئنةً إيَّاه، بأنَّه سيحظَى بنعمة خاصَّة تَقِيهِ من لسعات الأفاعي والعقارب في مراحل بناء الدير، وحصلَ هذا بالفعل، فلم يكن **القدِّيس أثناسيوس** يتأثَّر من السُّم الذي تنفثة الأفاعي والعقارب من لسعاتها المميتة، والتي كانت تتواجد هناك بشكلٍ كبير.

كذلك كانت **لوالدة الإله** مساهمتها فملأت مخازن الدير خلال المجاعة التي ضربت **الأمبراطورية** بين العامين **٩٦٢-٩٦٣م**. بسبب عدم تمكُّن الامبراطور من تأمين المُؤن للدير، وبعد وفاة **الأمبراطور فوقاس** خلفه **الأمبراطور يوحنّا تسيميسكيس** الذي ربطته علاقة ودية بـ **أثناسيوس** فزاد من الدعم المادي الذي خُصِّصَ للدير. وهكذا أكمل **القدِّيس** بناء الدير الذي أصبح نموذجًا لباقي الأديرة في **جبل آثوس**.

تشكَّلت الحياة في الدير وفق: « النظرة المشتركة إلى غاية الحياة التي هي الخلاص وأنْ يكون الرهبان، في حياة الشركة، قلبًا واحدًا وإرادة واحدة، وأنْ تكوِّن الأخويَّة، برغبة واحدة، جسمًا واحدًا قوامه أعضاء كثيرة» **(تيبيكون القدّيس أثناسيوس)**.

بعد حين أوفد **الأمبراطور يوحنّا تسيميسكيس** إلى **آثوس أفتيميوس ستوديون** الذي وضع **للجبل المقدّس** أوَّل تنظيم رسمي له عُرف: **بـ تراغوس** *Tragos* (تراغوس: هو تيبيكون أو معيار أو تنظيم ، مكتوبٌ على جلدِ **ذَكر الماعز -التيس**)، وذلك سنة **٩٧٢** م. من ذلك الوقت ابتدأت أديرة شركويَّة تحلُّ محلَّ **الأكواخ**، فتأسّست **أديرة فاتوبيذي وإيفيرون ودوخياريو**. النسَّاك والشركويُّون أخذوا، منذ ذلك الحين، بتبادل بركات الحياة الرهبانيَّة التي اختبرها كُلُّ فريق: **فالنسّاك**: أكَّدوا أهميَّة السكون والصلاة المتواصلة، **والشركويُّون**: النظام والانسجام في عُهدة رئيس الدير مُقامًا وسط الجماعة صورةً **للمسيح**.

عام **١٠٠١م**، تلبية لحاجات الشركة في **دير اللافرا**، جرى **توسيع الكاثوليكون**. وفي يوم **٥ تموز** من هذا العام، ارتقى **القدِّيس أثناسيوس الإسقالة** ليَتَفَقَّد الأشغال. فجأة انهارت، وأودت بحياة **القدِّيس وستة رهبان آخرين**، فخلفه **القدِّيس أوستراتيوس** رئيسًا.

شهد **اللاڤرا** تقلُّبات بين النظام الشركوي والنظام الإيديوريتمي (**بسبب الغزوات المتكرّرة للقراصنة والوضع المُتردّي للدير**). ومن العام ١٩٨٠ م إلى اليوم، يتبع الدير النظام الشركوي.

معالم الدير:

يقع **الكاثوليكون الكنيسة المركزيَّة** وسط باحة الدير، وهو النموذج الذي اتبعته الأديار في الجبل. كُرِّس، في الأساس، **لبشارة والدة الإلٰه**، ولكن بعد انتقال القدِّيس أثناسيوس أُعيد تكريسه على اسم: **رقاد القدّيس أثناسيوس الآثوسي** حوالي القرن الحادي عشر.

رَسم حائطيات الكنيسة: كاتب الأيقونات (الرسام) الكريتي ثيوفانيس في العام ١٥٣٥ م وهي الأروع في **كُلِّ الجبل**. في الكاثوليكون كنيستان جانبيتان، إحداهما **للقدِّيس نيقولاوس** والأخرى **للأربعين شهيدًا**، وفيها **ضريح القدّيس أثناسيوس** الذي يجترح عجائب لمن يطلب شفاعته، في هذه الكنيسة يوجد أيقونتان مهمتان، واحدة **للرَّبِّ يسوع**، والأخرى **لوالدة الإله** المسماة **إيكونوميسا** *(Oikonomissa/Stewardess)*. هذه الأيقونة رُسمت كتذكار للأعجوبة التي اجترحتها **والدة الإلٰه** عندما ملأت مخازن الدير. منذ ذلك الحين **هي القَيِّمة على مخازن الدير**، أمَّا الراهب الذي يقوم بهذا العمل في الدير، فيُعرف بنائب القَيِّم على المخازن. مرسومٌ في الأيقونة ١٤ شخصية كان لها علاقة بالدير وتأسيسه. يحوي الدير ٣٤ كنيسة صغيرة أهمها **للقدِّيس جاورجيوس والقدّيس أثناسيوس وعذراء كوكوزاليسا**.

عذراء كوكوزاليسا: هي **أيقونة لوالدة الإلٰه** كان جالسًا قربها **القدِّيس يوحنا كوكوزاليس** مرتِّل الإمبراطور ذو الصوت الرخيم، (يعيَّد له في ١ تشرين الأول شرقي) عندما قالت له: « افرح يا ابني يوحنَّا، رتِّل ولا تكفَّ عن الترتيل ولن أتخلَّى عنك». وقد أعطته **والدة الإلٰه قطعة ذهبيَّة**. فلمَّا استفاق من غفوته كانت يده قابضة على القطعة الذهبية كما أعطته إيّاها. هذه القطعة الذهبية عُلِّقت على الأيقونة حتى القرن ١٧، بعد ذلك الحين يقول التقليد إنها اختفت. (انظر المزيد لاتحقًا).

من أشهر معالم الدير أيضًا، الحوض الذي يقام فيه تقدِّيس الماء *(Phial)* إلى جانب الكنيسة، وهو الأكبر والأقدم في كُلِّ **جبل آثوس**. كذلك قاعة الطعام المُشيَّدة على شكل صليب مقابل الكاثوليكون، والمتميِّزة بالحائطيات التي رسمها رسّامون كريتيون، ومنها ٢٤ مشهدًا لنشيد مديح والدة الإله والمجيء الثاني وصور من الإنجيل وحياة القدّيسين.

وفي مبنى آخر **مكتبة الدير** التي تحوي ٢٠٤٦ مخطوطة منها ٤٧٠ **كتابًا** مخطوطًا و ٥٠ دُرجًا (فرامانًا) وحوالي ٣٠,٠٠٠ كتاب مطبوع.

دير اللاڤرا لديه كنوز كثيرة من ذخائر قدّيسين إلى تاج الأمبراطور نيقيفوروس وثيابه الليتورجية (Sakkos) وصواني كَنَسِيَّة وأغلفة للكتاب المقدَّس وغيرها...

يتبع **لدير اللاڤرا** إسقيط القدّيسة حنّة وإسقيط كافسوكاليفيا وإسقيط برودروموس (القدّيس يوحنا المعمدان)، وأيضًا قلالي للرهبنة ومنها: كاليڤيس پروڤاتا، كيراسِيَّا، القدّيس باسيليوس، القدّيس نيلوس، كاتوناكيا، وكارولیا، ڤيغلا، وڤوليفتيريا.

القديس يوحنا الكوكوزاليس
مرنّم الامبراطور وهروبه إلى الدير:

«إنَّ هدف ترانيم الكنيسة هو جعل شرارة النعمة المختبئة فينا تشتعل بصورة أسطع وأكثر دفء. فالتراتيل والمزامير والتسابيح الرُّوحيَّة قد وُضعت كي تُضرم الشَّرارة وَتُحوّلها إلى لهيب» (ثيوفان الناسك)

تزخرُ كنيستنا الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة بعدَدٍ كبيرٍ من القديسين، وقد برَزَ بعضهم في المجال الموسيقي الكَنَسِيِّ بشكلٍ لافتٍ ومؤثرٍ، ويكادُ يكونُ **القدِّيس يوحنا كوكوزاليس** أحدَ أبرز هؤلاءِ القديسينَ؛ والذين نذكر منهم: **القديس رومانوس المرنِّم، والقديس يوحنَّا الدمشقي، والقديس قُزما المنشئ**، وآخرون.

يتحدَّر **القدِّيس يوحنا كوكوزاليس**، وُلد حوالي سنة ١٢٨٠م في **مدينة دورازو في ألبانيا الحاليَّة**، في فترة حُكمِ **عائلة كومنينوس**.

تيتَّم يوحنَّا في سن مبكِّرة من أبيه. وأمَّا أمُّه فكانت **محبّة للهِ** تقيَّة. فراحت تغرس في نفس ابنها الفَتِيَّة تعليم الكُتب المقدَّسة، وكان يوحنَّا عاقلًا زكيًّا مُحبًّا للتعليم حسن الأخلاق ذا صوت جميل حتى أنَّ سامعيه كانوا يسمّونه (**أنچيلُوفُونوس αγγελόφωνος**) أي **نغمة ملائكيَّة**، وأيضًا: **صوت/غناء فائق الرَّوعة** (**كالي كِيلاذو Καλλικέλαδο**) .

ولحسن صوته، ذهب فتيًّا إلى القسطنطينيَّة ليدرس في **مدرسة الإمبراطوريَّة**. كانت السنوات الأولى من دراسته صعبة. وعندما سُئل في المدرسة ماذا يأكل، أجاب: «**كوكيا وزيليا**» (**κουκία και ζέλια**) (**الفاصوليا والملفوف**)، لأنَّهُ كان فقيرًا. فَلُقِّبَ بـ **كوكوزاليس**.

كانت السَّلاطين أو الأباطرة في ذلك العصر يُفتِّشون في المدن التي تحت إمرتهم على الصبيان الأذكياء الحاذقين وأصحاب النِّعمة الحسنة، حتى إذا وجدوهم جعلوهم في مكاتب السَّلطنة. **فصَادُوا** إذ ذاك هذا السَّعيد يوحنَّا فأتوا به إلى مكتب التَّعليم المختص بالملك ليُتقن صناعة الموسيقى. وبعد مُدَّة يسيرة، ونظرًا لعقله الثَّاقب وَلُبِّهِ الصائب، فاق جميع أقرانه وتجاوزهم. فأحبَّه الملك حُبًّا شديدًا، وأراد أن يزوجه بامرأة من ذوي الثَّروة والغنى.

وبعد فترة لاحظ المغبوط يوحنَّا أنَّ كافة العُظماء والرؤساء يُسدون اليه إكرامًا فائقًا لمحبَّة الملك له و بسبب ألحانه الشَّجيَّة النِّعمة. فكان حزينًا لذلك، و مُغتمًا وَجِلًا لِئَلَّا يُعدَم المجد السَّماوي والابتهاج الأبدي **لأجلِ شَرَفٍ زَمَنِيّ**.

وفي هذه الأثناء، عيَّنه **الأمبراطور**، الذي كان يُقَدِّرر فَنَّهُ، رئيسًا

لموسيقيِّي المرتلين الإمبراطوريِّين وأراد أن يزوجه من ابنة أحد الأقطاب.

لهذا كان يلتمس فرصة ليتخلَّص من مَهَامِّه ويهجُر العالم. فاتَّفق في تلك الأيام أنْ جاءَ إلى الملك **رئيسُ دير اللافرا الكبير في الجبل المقدَّس آثوس** لقضاء حاجةٍ ما. فلمَّا أبصر يوحنَّا الرئيس وعرف جمال سيرته الملائكيَّة، التهب شوقًا للذهاب إلى **الجبل المقدَّس** نابذًا كُلَّ مجدٍ وشرفٍ ملوكيٍّ وخيالٍ عالميّ. فأخذ ينزع عنه تلك الثِّياب والملابس الحريريَّة، **ولبس ملابس رثَّة دنيئة من الصُّوف**، وتناول بيده عصا ملائمة وذهب مُنطلقًا إلى **الجبل المقدَّس**.

فلما وصل إلى باب **أحد الأديار** سأله البَوَّاب: «من أين أنت وماذا تبغي وما هي صنعتك؟ ».

فأجابه: «أوَدُّ أنْ أصيرَ راهبًا وقد كنت قبلًا راعِيًا للمواشي».

ولما لاحظ البواب أنَّهُ صغيرٌ جدًّا، أجاب يوحنا بكلِّ تواضع بقول **إرميا النبي**: «جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ النِّيرَ فِي صِبَاهُ.» (مراثي أرمياء ٣:٢٧).

فأعلمَ البوّابُ الرّئيسَ بذلك ففرح فرحًا عظيمًا لأنَّهم كانوا بحاجة لرجل نظيره. فجرَّبوه مُدَّةً من الزَّمان ثم ألبسوه ملابس الرُّهبان وأرسلوه إلى البريَّة ليرعى أغنام الدَّير. فأطاعَ بفرحٍ عظيمٍ لإيثاره الهدوء والسُّكوت. وعَزَمَ أن يقوم بمهمَّته هذه بغير كسل ولا توانٍ، مُصلِّيًا للرَّبِّ بحرارة وبلا انقطاع.

وأمَّا الملك فقد اعتراه لفقدهِ حزنٌ شديدٌ وغمٌّ ليس بيسير. فأرسل إلى كُلِّ بلدة ومدينة في طلبه، وإلى الأديرة والبراري والقفار في التماسه. فوصل المرسلون إلى **جبل آثوس** وفتَّشوا كُلَّ مكان باستقصاءٍ بليغ فلم يعرفه أحد لأنَّهُ كان لابسًا **أثوابًا رثَّة**.

أمَّا يوحنَّا فكان راعيًّا للأغنام والمواشي في الدير، وحدثَ أنَّه عندما أخرج الماعز للرَّعْيِ، عادَ القطيع في وقت متأخر من بعد الظهر إلى حظيرتهم صائمين تقريبًا، على عكس الأوقات الأخرى التي كان يرعى فيها آباء آخرون. ولم تكن ثدائهم ملئى بالحليب، استمرَّ هذا الوضع لمدَّة ثلاثة أيَّام، تخرج الماعزُ للمراعي في الصباح باكرًا، برفقة يوحنَّا، وتعود صائمة وبدون حليب في أثدائها.

استغرب رئيس الدير لهذا الأمر الحاصل، فَكلَّف راهبًا مُعيَّنًا بمتابعة يوحنَّا ليرى ما كان يحدث بالضبطِ.

وفعلًا وبعد خروج يوحنا في الصباحِ الباكر مع قطيع الماشية، تَبِعَهُ هذا الراهب المُكَلَّف، ليرى ماذا يحدث وقت رعي الماعز، وإذ به ينبهر مما شاهده عيانًا، رَجِعَ بسرعة إلى الديرِ، وروى الراهب للرئيسِ قائلًا: أنَّهُ بينما كانت المواشي ترعى الأعشاب، بدأ يوحنَّا كوكوزليس في الترتيل والنشيد، فتوقفت الماعز عن الأكل، ورفعت رؤوسها مصغية بصمتٍ وهدوء مستمعةٍ إليه باهتمامٍ كبير، وعندما توقَّف الترنيم، بدأوا في رعي الأعشاب مرَّةً أخرى. وفي مرحلة ما بدأ من جديد، ونظرت إليه الحيوانات مرَّة أخرى كما لو كانت مسحورة، وتوقفت عن الرعي، وكأنَّها مشغوفة بنغمته الملائكيَّة.

فأرسل رئيس الدير لوقته وأحضر إليه يوحنَّا وقال له:

ــ أُقسمُ عليك **بالله** أنْ تقول لي الحقَّ، أَمَا أنتَ يوحنَّا الكوكوزاليس المطلوب من قِبَلِ الملك؟.

ــ فخرَّ يوحنَّا على الأرض ساجدًا أمام الرَّئيس ملتمسًا منه المسامحة والغفران بدموع غزيرة قائلًا: « أنا هو الخاطئ عبد قدسك. أنا هو الحقير الغير المستحق. فأتضرَّع إليك وأسألك أنْ تدعني في هذه الخدمة الحقيرة التي كلَّفتني بها منذ الابتداء، كي لا يعلم الملك أنِّي هنا فيأخذني قَسرًا من هذا الميناء الخلاصي.»

ــ لا يهمُّك الأمرُ يا ولدي بل تمِّم عمل الطَّاعة، وامكُث عندنا هُهنا في قلايةٍ أعطيك إيَّاها في الدَّيرِ. وأنا أنطلق إلى الملك وأسأله أن يعفُوَ ويصفح عنكَ وعنَّا.

وبعد أيَّام قلائل قصدَ الرَّئيسُ الملكَ وخرَّ جاثيًا عند أقدامه قائلًا له: «أتضرَّع إليك وأسأل عِزَّ سلطانك يا سيِّدي أن تهبني واحدًا من النَّاسِ لخلاصِ نفسهِ وتعفو عنه.»

ــ فسأله الملك عن اسم المطلوب. فقال له الرَّئيسُ:

ــ « إذْ لم تهبني من لدنك حُلمًا وإشفاقًا واعدًا إيَّايَ بِصَكٍّ مكتوبٍ لا أجسر أنْ أبوح بإسمه».

حينئذ أمر الملك الكاتب فكتب له ما أراد وختم الملك وعدَهُ بيده. فقصَّ له الرَّئيس عندئذ قضيَّة الرَّاهب **يوحنّا الكوكوزاليس** بالتّفصيل. فلمَّا سمع منه الملك بكى بكاء شديدًا واشتمله الفرح والحزن معًا. أمَّا الفرح فلأنَّ يوحنَّا توشَّح بالزِيِّ الملائكي بورع، ونبذَ كُلَّ لذَّة أليمَّة جسديَّة. وأمّاَ الحزن فلإعطائه الرَّئيس ذلك الصَّك المدَوَّن بخطِّ يدِهِ بحيث لم يعد بإمكانه استرجاع يوحنَّا. فسكَّن الرَّئيس غيظ الملك وباركه ودعا له بطول العمر، ثم رجع عائدًا إلى ديره وأخبر الإخوة بما كان.

وهكذا لبث يوحنَّا بدون خوف من قبل الملك الأرضي، خادمًا متعبدًا للملك السَّماوي. وكان يرتِّل في الكنيسة وينظِّم ترنيمات وتسابيح روحانيَّة. وبداعي وَرَعِهِ الشّديد ابتنى كنيسة خارج الدَّير، وقلاية كان يلازم الصَّمت فيها مدى الأسبوع إلَّا يوم الأحد إذ كان يحضر إلى كنيسة الدَّير الرئيسيَّة للترتيل، وأصبَحَ أحدَ مرتِّلي الدير الأساسيين مع **القديس غريغوريوس دوميستيكوس** الذي نعيِّد له سويَّةً مع **القديسين يوحنَّا كوكوزاليس ورومانوس المرنِّم** في الأوَّل من شهر تشرين الأوَّل شرقي من كُلِّ عام.

وحدث ذات مرة، في السبت الخامس من الصوم الكبير، عند **نشيد المديح الكبير للقديسة مريم والدة الإله الكليَّة القداسة**، (حيثُ كانت سهرانيَّة تُطال الليل كلَّه لغاية الصباح)، أنَّه جلس بقرب **إيقونة والدة الإله** ليهجع قليلًا، فغفا ونام من شدَّةِ التعب. **فظهرت له والدة الإله** وقالت له: «افرح يا ابني يوحنَّا، رتِّل ولا تكفَّ عن الترتيل ولنْ أتخلَّى عنك». ثمَّ أعطته **قطعة ذهبيَّة** من داخلِ أيقونتها، لأنَّه كان يرتِّل لها من صميم القلبِ. فلما استفاق من غفوته كانت يده قابضة على القطعة الذهبيَّة التي أهدتهُ إياها **العذراء مريم**.

فقفَزَ بسرعة إلى أيقونة العذراء، متفرِّسًا وإذ به يشاهد أنَّ سلسلة القِطع الذهبيَّة ناقصة قطعةٌ واحدة، وهي التي منحتها إيَّاهُ **العذراء مريم**.

تمَّ تقسيم القطعة الذهبيَّة إلى نصفين. نصفها وُضِعَ بجوار **أيقونة السيِّدة**

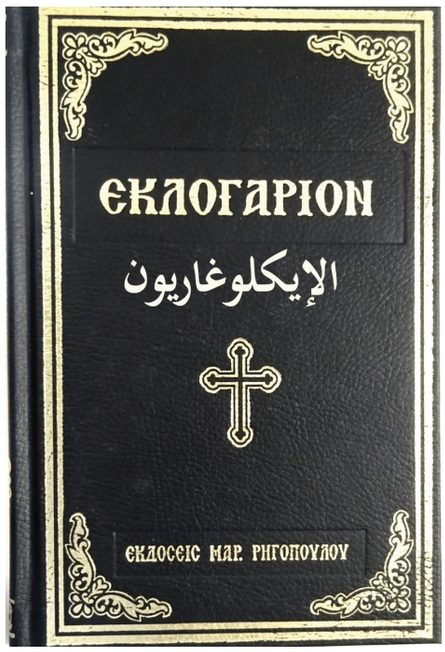

العذراء في كنيسة اللافرا، والنصف الآخر أُرسل إلى روسيا.(**بمرور الزمن اختفت القطعة من الدير**)

ثم إنَّ **والدة الإله** شفته منَ **الأَكَّال** (**الغنغرينا**) الذي كان قد أصاب ساقيه نتيجة اضطراره للوقوف ساعات طويلة في الكنيسة. قضى بقية أيامه في الصوم والتوبة والصلاة المستمرَّة. كان يوحنَّا متواضع القلب وديعًا حليمًا. وقُبَيْلَ وفاته التي عرفَها مُسبَقًا، استدعى إخوة ديره وصلَّى لهم وطلب منهم أنْ يصلُّوا هم بدورهم من أجلِه وأنْ يدفنوه بعد مماته في **كنيسة رئيس الملائكة** التي ابتناها هو بنفسه.

«كلُّ راهب يقوم بعمله بتواضع ونكران ذات يؤهله الربُّ لتكون أواخره مقدَّسة وسلاميّة»
(الأب إيوسيف الذي من أوبتينو)

كتابات القديس:

كان للقديس يوحنَّا نموذجًا خاصًّا في الترتيل، ونمط مميَّز في الأداء الموسيقي.

قد تصلُ أعمال القدِّيس إلى ما يفوق الثمانينَ عملًا، نورد أهمها:

† أَلَّفَ كتابًا في ترتيب الخدمة الكنسيَّة من بداية صلاة الغروب الكبرى إلى القدَّاس الإلهي.

† **البوليئيليون** (Πολυέλεος): كلمة يونانيَّة تعني كثير المراحم، وهي تشير إلى قطعة تتألف من آيات من المزامير. سمِّيت هكذا لأنها تستدعي رحمة الله. تأتي من المزمور **١٣٥**: «إعترفوا للرَّبِّ فإن للأبد رحمته». يقال في السَّحَرِ بعد الأكاثسما الثانية. هذه القطعة موجودة في كتاب **الإيكلوغاريون**.

† العديد من **الطروباريات والقناديق والاستيشيرات**.

ويَنُصُّ التقليد الشريف أنَّ القديس يوحنَّا كوكوزاليس ردَّدَ ترتيلةً إلى **والدة الإله**، عندما ظهرت له وطلبت منه أن يستمرَّ بالترتيل؛ هذه القطعة لا تزال تُرتَّل إلى هذا اليوم في صلاة السَّحَر خلال مراسيم إرتداء الأُسقف لملابسه الكهنوتيَّة، وهي على الشكل التالي:

«أيتها الفتاة، إنَّ الأنبياء قد سبقوا وأخبروا عنكِ، أنَّكِ الجرَّة والعصا والصخرة؛ والمائدة والمنارة والتابوت، الجسر والسُلَّم. الجبل غير المنقطع منه، والمبخرة الذهبيَّة. البلاط وعرش الملك. أيُّتها الفتاةُ إنَّ الأنبياء قد سبَقُوا وأخبروا عنكِ، أنَّكِ الجرَّة الذهبيَّة الحاملة المنَّ. هكذا سَبَقَ وأخبَرَ عنكِ الأنبياء، الملهمون أيُّتها الفتاة».

† يُعتقَد أنَّ الترتيلة المشهورة التي لا زِلنا نقولها إلى اليوم في القدَّاس الإلهي، هي من كتابته: « **قدُّوسٌ واحدٌ، رَبٌّ واحدٌ، يسوعُ المسيح في مجد الله الآب، آمين**».وهناك الكثير والكثير من الابداعات في الترتيل وقراءة

النوتة البيزنطيَّة، التي عدَّلها للألحان التي وضعها **القديس يوحنا الدمشقي**.

لقد ابتكر **عَجَلَة الموسيقى الكبيرة الدائرية**، والتي تحيط بها أربع عجلات أصغر حجمًا. وكل منها يمثل بالدليل السقوط الجانبي لكل نغم جانبي نحو النغم الرئيسي. (**أنظر الصورة أعلاه**).

المخطوطات الموسيقيَّة للقدِّيس يوحنا كوكوزليس محفوظة في مكتبات **القسطنطينية وسالونيكي وأثينا وجبل آثوس والفاتيكان وباريس وفيينا** ومدن أخرى.

ΙΕΡΑ ΜΟΝΗ ΜΕΓΙΣΤΗΣ ΛΑΥΡΑΣ
ΛΕΙΨΑΝΑ ΑΓΙΩΝ

ذخائر وكنوز
دير اللاڤرا الكبير

الصليب الكريم تالمحيي
قطعة من الخشبة الأصليّة

صليب القديس أثناسيوس الأثوسي
يزن قرابة ٣ كغم

هامة القديس
يوحنا المعمدان

هامة القديس باسيليوس الكبير

هامة القديس يوحنَّا كوكوزاليس

هامة القديس
يوحنا المعمدان
صورة من أعلى

5 هامة القديس استفانوس أوَّل الشهداء
6 هامة القديس ميخائيل أسقف سيناذون
7 هامة القديس أليكساندروس العظيم في الشهداء
8 هامة القديس نيلوس المفيض الطيب
9 هامة القديس يوحنَّا كوكوزاليس مرتِّل الإمبراطور
10 اليد اليُمنى للقديس الرسول أندرواس المدعو أولًا
11 اليد اليُسرى للقديس يوحنا الذهبيِّ الفم
12 اليد اليُمنى للقديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

ملحوظة: الأيادي الثلاثة للأرقام *10 + 11 + 12* تحوي عظمة الساعد لكلِّ يدٍ.

في كنيسة الشهداء الأربعين يسار الكنيسة المركزيَّة (الكاثوليكون) يوجد قبر القديس أثناسيوس الآثوسي، الذي لم يتمُّ فتحه قطُّ. ذات مرَّة، ذهب بطريرك الإسكندرية، الذي كان يحترم القديس أثناسيوس كثيرًا، ليأخذ ذخائر مقدَّسة من قبره. ولكن ما أن همَّ بفتحه بمعيَّة رهبان الدير، **حتَّى اندلعت النيران على سطح القبر، مقرونًا بِالرَّعدِ والبرق.** ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد على فتحه بتاتًا، رفات القديس أثناسيوس مازالت تصنع العجائب باستمرار.

البطريرك المسكوني برثلماوس يقبل قبر القديس أثناسيوس

الإصحاح الرابع

العظة الثانية عشر: (١كو٤: ١١-١٢)

«إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ، وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا. نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ.» (١كو ٤: ١١-١٢). تتمة من العدد السابق

٦- وقد يتساءل أحدٌ، **لماذا تُهاجم الزواج؟** هذا لن يحدث أبدًا، لستُ مُختلًا إلى هذا الحدِّ، لكنني أُدين العادات السيئة المرتبطة بالاحتفال، مثل **تلوين الوجوه**، وكُلِّ الامور الأخرى غير النافعة. لأنَّه حقًّا ستكسب العروس في تلك الليلة، عُشَّاقًا كثيرين إلى جوارِ عريسها، وسَيُعجَب بها الكثيرون. فماذا يعني هذا؟ يعني أنَّها إذا كانت **مُتعقِّلة**، فإنَّها ستنجو بصعوبة من السمعة السيئة، ولكن إن كانت غير حريصة، فإنَّها **ستضعف سريعًا**، وتكون قد سَجَّلت في تلك الليلة، **بداية فسقها**. إنَّ أولئك الذين ليسوا بأفضل أبدًا من الحيوانات، يعتبرون أنَّ عدم حدوث هذا **الفسق والفجر**إهانة، ويعتبرون عدم رؤية الكثيرين للمرأة المقبلة على الزواج، غير مقبول، إذ يجب بحسب هؤلاء، أنْ تكونَ مسرحًا عامًّا (شاملًا) أمام أولئك الذين يُشاهدونها، إلَّا أنَّه كان يجب أنْ يعتبروا ما يحدث هناك، إهانة واستهزاء وسفاهة. وأعرف أيضًا أنَّهم سيتهمونني الآن بالجهلِ، لكنني سأتحمَّل تَهكُّمَهُم عَليَّ، مادامَ سيأتي من وراء ذلك ربحًا ما. لأنَّه بالحقيقة سأكون موضع سخرية، لو أنَّني، بينما أحثُّ الآخرين على أنْ يزدروا بالآراءِ غير اللائقةِ للكثيرين، يستحوذ عَليَّ أنا أيضًا، الهوى تجاه الغير.

إذًا لتلاحظ الأمور اللاحقة، ليس فقط خلال فترة النهار، بل وفي المساءِ أيضًا، تجد رجالًا سَكارى ومُخَدَّرين ومُشتعلين باللذةِ، يحاولون أنْ ينتظروا مُشاهدة جمال وجه هذه الزوجة البِكر، ليس فقط داخل البيت، بل أيضًا من خلال الموكب الذي تسير فيه، ويُظهرونها ويُرافقونها بالشموع حتى وقتٍ متأخِّرٍ من الليل، حتى يراها الجميع، وهم يفعلون ذلك، لا لهدفٍ آخر، سوى أنَّهم بهذا المسلك، ينزعوا عنها حياءها؛ ولا يتوقفون عند هذا الحدِّ، بل يَحطُّونَ من كرامتها بكلامٍ بذيء، وهذا يعتبر **بمثابةِ قانون** عند الكثيرين، وهكذا تنفلت الأمور. هؤلاء تُعساء إلى أقصَى حَدٍّ، يتصرَّفون بلا مُبالاة، فينطقوا بما يحلو لهم، بدون خجل، سواء لهذه الزوجة، أو لزوجها الذي سترتبط بِهِ. وفي هذه الأجواء **لا** وجود للوقار، بل تكون **البذاءة** هي سيِّدة الموقف، إضافةً إلى القُبحِ الذي يُسيطر على المشهد كلِّهِ. على أيِّ حال فلابُدَّ للزوجةِ أنْ تأخذ درسًا جيِّدًا في التعقُّل، طالما أنَّها ترى وتسمع ما يحدث، ويوجد **تنافس شيطاني** بين أولئك الذين يُحرِّضون على ممارسة تلك **الإنحرافات**، أنْ يتقدَّم الواحد على الآخر في الأمور **اللاخلاقيَّة والكلام البذيء** الذي يُخْجِلُ مَنْ هما مُقبلين على الزواج، ثمَّ يرحل أولئك الذين ألقوا في مسامع العروسين هذا الكلام البذيء والقبيح، وهم مُختالين (فخورين بكبرياء) بما فعلوا.

أنا أعرف أنني مُزعِجٌ وحادُّ الطبع، لأنَّني أرفض - بحسب رؤيتهم - اللذة التي تحتويها هذه الحياة؛ ولأجلِ هذا تحديدًا أحزَنُ، لأنَّ الأمور المقزِّزة، تعتبر لذَّة. أي كيف لا يكون أمرًا مُنَفِّرًا، أنْ تُهان وأنْ يُسخَر منكَ، وأنْ تُفتَضَح من الجميع، ومن العروس؟ فإنْ أهانَ أحدٌ زوجتك، فإنَّكَ تغضب وتُحطِّم كُلَّ شيء، وتتصوَّر أنَّ حياتك أصبحت لا تُحتَمل، وبينما يُقَبَّح مشهد مَوْكِبِكَ وأنتَ برفقةِ زوجتك أمام كُلِّ المدينة، فإنَّك تفرح وتفتخر، **فهل هذا أمرٌ مقبول؟** أيُّ خبلٍ يُظهره هذا التصرُّف؟ وقد تقول: إنَّ هذا الأمر مرتبط بالعادات. إنَّكَ لأجلِ هذا تحديدًا، تستحق أنْ نُرثيك إلى أقصَى حَدٍّ، لأنَّ **الشيطان** أحاطَ الأمر بغطاءِ العادة؛ ولأنَّ الزواج بالحقيقة هو ممارسة تتسم بالوقار، ويجعل جنسنا مُستمرًا إلى الأبد، وهو سبب في خيراتٍ كثيرة، فإنَّ **الشيطان ذلك الخبيث الشِّرير**، حاولَ أنْ يُفسده، ولأنَّه يعرف أنَّ الزواج حائط قوي ضدَّ **الأفكار الشريرة**، فإنَّه يُدخِل **الدعارة**، بطريقةٍ أُخرى، وكما هو معروفٌ، فإنَّ عَذارى كثيرات يُهِنَّ أنفُسَهُنَّ في مثلِ هذه الإحتفالات، وإنْ كان هذا لا يحدث في كُلِّ مكان، فعلى أيَّةِ حال يكفي من خلال تلك **الكلمات الشيطانيَّة** وهذه **الأناشيد الخبيثة**، أنْ

يُتاح للعروسِ – خلال فترة زمنيَّة قصيرة – مشاهدة نماذج حياتيَّة كثيرة، فضلًا عن ذلك فإنَّهم يتجوَّلون بها وسط العامة.

بعد ذلك، وكما هو معروفٌ، فهذه الأمور تحدث في المساء، ولكي لا يعوق الظلام ظهور مثل هذه الممارسات الشائنة، فإنَّهم يستخدمون شموعًا كثيرة، حتى لا تترك أيِّ قبيح يبقى مُختفيًا. إذًا ماذا يُريد هذا الكَمُّ الكبير من العامَّةِ؟ لماذا يحدث السُكر؟ ولماذا تنطلق أصوات آلات الناي بالصياحِ؟ أليسَ مِنَ الواضح أنَّ ذلك كلَّه يحدث، حتى لا يجهله ساكنو البيوت، والذين يَغِطُّونَ في نومٍ عميق، إذ أنَّ أصوات الناي توقظهم، فَيُطلُّونَ مِنْ شرفاتهم، ويكونوا شهودًا على هذه المهزلة؟ كيف يمكن للمرءِ أنْ يَصِفَ مثل هذه الأغاني، تلك **المملوءة بالفسق والخلاعة**، والتي تُثير الغرائز والرغبة في العلاقات الخاطئة والفوضى في البيوت، ومصائب أُخرى لا حصرَ لها، وهذه الأمور تنسحب باستمرار على الصديق والعشيق، كما أيضًا على الصديقة والعشيقة؛ والأسوأ هو أنَّ هذه الترفيهات، بعدما تنزع عنها كُلَّ حياءها ووقارها، تأتي الفتيات البكر الحاضرات على شرف العروس المتهيِّأ لحفلِ الزفاف، واللاتِي ربما يحضُرنَ لِيَكُنَّ شاهداتٍ على إهانتها، وكيفَ يُساءُ إليها عن طريقِ صِبية فاسقين يُسَلِّمون أنفسهم لأناشيد غير لائقة، ولكلماتٍ بذيئة، ولإتفاقات **شيطانيَّة**. أخبرني إذًا هل عرفتَ مِنْ أين تأتي حالات **الزِنى والدعارة؟** ومن أين تأتي حالات **تفكُّك** الزواج؟

ولكن سيقول البعض إنَّ هذه الأمور لا تفعلها النساء اللاتي ينحدرن مِنْ أصلٍ نبيل. إذًا كيف تستهزىء بي، بينما أنتَ نفسك تعرف هذا القانون أكثر مني؟ أي إنْ كان ما يحدث في أجواء العُرس هو شيئًا حسنًا، فلنترك هؤلاء الفتيات يفعلن أو يمارسن تلك الأمور. هل لأنهُنَّ فقيرات، يلجأنَ **للزنى**، ولا ينبغي عليهُنَّ أنْ يَحرِصْنَ على التعقُّل والأدب؟ فهل هناك فتيات بكر يرقُصنَ أمام شباب فاسق، أخبرني إذًا ألَا تعتقد أنَّهن أكثر مهانة مِنَ **الداعرة؟** وإنْ قلتَ أنَّ هذه التصرفات تفعلها خادمات، نعم، ولكنني لنْ أُعفيكَ أيضًا مِنَ الإدانة، كان يجب **منع** هؤلاء الفتيات أيضًا.

٧– فالأمور الشائنة تأتي مِنْ هؤلاء، لأنَّنا لا نهتم أبدًا بالعبيد، بل يكفي أنْ يقولَ أحدٌ إنَّ هذا عبدٌ أو هذه خادمة، حتى يشعر هؤلاء بالإحتقار. لكنَّنا نسمع كُلّ يوم، أنَّه في **المسيح يسوع** «...لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ...» (غلاطية ٣: ٢٨). أمَّا انتَ فإنَّكَ لا تهين جوادك ولا حمارك، بل تفعل كُلَّ شيء، حتى يكونا في حالةٍ جيِّدة، أمَّا العبيد الذين يحملون روحًا مثلَكَ، فكيفَ تحتقرهم؟ لماذا تدعوهم عبيدًا، بينما كان يجب أن تدعوهم أبناءًا وبناتًا؟

وبعدما سمعنا كُلُّ هذا، ماذا ينبغي علينا أنْ نفعلَ؟ هناك احتياج لأنْ نأسف على كُلِّ هذا، وأنْ نهجرَ كُلُّ هذه التصرفات غير اللائقة. إنَّ المرءَ كثيرًا ما يتعرَّض للضررِ والخسارة في هذه الأجواء، لأنَّه يفقد أحجارًا كريمة، وذهبًا، وسط هذا الجمع الكبير، وهذه الضوضاء. وبعد ذلك، وبعد إتمام الزواج، وإذ وُلِدَ طفلٌ، فإنَّنا سنُلاحظ هنا أيضًا ممارسات تحمل **نفس الحماقة**، وأشياء كثيرة تدعو للسخرية. وعندما يبدأون في اختيار اسم الطفل، لا يُسَمُّونه **بإسم أحدِ القديسين**، كما كان يفعل القُدماء، بل بعدما يُشعلون الشموع، ويبدأون في إعطاء أسماء لهذه الشموع، فيعطون المولود الإسم المكتوب على الشُعلة التي تستمرُّ في الإشتعال أكثر، وهم بذلك يعتقدون أنَّه سيعيش سنوات أطوَل. وإن حدث ومات في سِنٍّ صغير – الأمر الذي كثيرًا ما يحدث – فإنَّ **الشيطان** سيضحك، لأنَّه خدعهم، كما لو كانوا أولادًا أغبياءًا. وماذا يقول المرءُ عن **الأحجبة أو التعاويذ، والأجراس التي تُعَلَّق في الأيدي، والخيط الأحمر، والأمور الأخرى المملوءة بالجهالة الكثيرة؟** وبينما يجب **ألَّا** يضعوا شيئًا ليلتفَّ حول جسم الطفل، **إلَّا الصليب**، لكي يحمي، **إلَّا أنَّ الصليب** الذي نجحَ في جذب المسكونة كلِّها للإيمان، وتمكَّنَ من إصابة **الشيطان** في مقتَلٍ، وحَطَّمَ كُلَّ قوَّته، أصبَحَ مُحتَقَرًا، وأخذوا يَضْمَنُوا سلامة وأمان طفلهم بخيوط وتعاويذ أخرى شبيهة بذلك؛ وهل يوجد ما هو أكثر سُخرية مِنْ هذا؟

ولأنَّنا تحدثنا عن هذه الأمور، فيجب ألَّا يَتَهِمنا أحدٌ بأنَّنا لم نختَر الوقت المناسب للحديث عن مثلِ هذه الموضوعات. إنَّ منْ يريد أنْ يُنَظِّف شيئًا فاسِدًا، لا يكترث بتلويث يديه. إذن لماذا هذا التصرُّف الذي يدعو إلى السخرية؟ وهذا يُعتبر كَلَا شيء، ولهذا أنا أتَنَهَّد، لكنه بداية الخبل، والخروج على كُلِّ ما هو معقول ومقبول، بل وبداية لأسوأ نوعٍ مِنْ جهالة النساء الملوثات والمرضعات، والخادمات اللاتي يأخذن طينًا مِنَ الحمامات العامة، ويرسمون به علامة على جبهة الطفلِ، ولو سألهم أحدٌ ما الحاجة للوحلِ، فستكون الإجابة: أنَّ هذا العمل يحفظه **من العين الشريرة، ويُبعد عنه الحَسَد** أيضًا. يا للعجب، كم يحمل الطين والوحل مِنْ قوَّة كبيرة، حتى يُبعد كُلِّ **صفوف الشيطان!**. أخبرني، ألَا تخجلون، ومتى ستفهمون وتُدركون **فخاخ الشيطان**، كيف أنَّه ومنذُ سِنٍّ مُبكِّر، يُثَبِّت أفكاره الخبيثة في أذهانكم، رويدًا رويدًا؟ وإنْ كان الطين يُحقِّق هذا، فلماذا لا تفعل أنتَ نفس الشيء في جبهتك، خاصَةً وأنَّكَ رجُلٌ وتفهم أكثر مِنَ الطفل، أنَّهم يَحسدونك، ولماذا لا تُغَطِّي جسدك كلَّهُ بالوحلِ؟ لأنَّه إنْ كان الوحل يحمل كُلّ هذه القوَّة في الجبهة، فلماذا لا تدهن نفسك بالوحلِ؟ إنَّ هذه التصرفات كلّها تدعو للسخرية وتُعتبر **كوميديا شيطانيَّة** لا تستحق فقط التهَكُّم والسخرية، بل وتقود المخدوعين **إلى الجحيم**. وإنْ كان الذين مِنَ الأمم يفعلون هذه الأمور، فهذا لا يُعَدُّ بالغريبِ على الإطلاق، ولكن أنْ يحتفظ أولئك الذين يسجدون **للصليب** ويتناولون مِنَ **الأسرار المقدَّسة** بهذه الأمورِ القبيحة، ويبدأون في تبرير الموضوعات ويُفَلسفونها، فهذا هو ما يستحقّ الحزن والنحيب.

٨– لقد كرَّمك اللهُ بالميرون الرُّوحي، فهل تُلَوِّث الطفل بالوحل؟ لقد كرَّمك اللهُ، فهل تُهين ذاتك؟ وبينما كان ينبغي أنْ تُرشَم **بالصليب**، الذي يمنحُكَ أمانًا لا يُقهَر على جبهتك، فهل تَهجُرَهُ وينتهي بِكَ الأمرُ إلى **الحماقة الشيطانيَّة؟** فإنَّ البعض يعتبر أنَّ هذه أمور صغيرة، فليتعلَّموا أنَّها بداية لشرورٍ كثيرة، وأنَّ **الرسول بولس** قد حَكَمَ بأنَّه مِنَ الصوابِ أنْ نهتمَّ بالأمور الصغيرة. أخبرني، هل هناك ما هو أبسط وأسهَل مِنْ أنْ يُغَطِّي الإنسان رأسه؟ ولكن لاحظ مدى الاهتمام الذي يوليهِ **القديس بولس** لهذا الموضوع متحدِّثًا عن أمور أُخرى كثيرة، وعن الذي يُشين رأسه، ومادام الذي يُغطِّي رأسه يُشينه

(١كو ١١: ٤)، فكيف لا يكون ذاكَ الذي يدهن رأس الطفل بالوحلِ، لا يُشينه؟ كيف تقود هذا الطفل بهذا الشكل إلى **أيدي الكاهن؟** إلى أيِّ مدى يكون مُستحقًّا أنْ تختم جبهته بعلامة الصليب بأيدي الكاهن، بدلًا مِنِ استخدام الوحل؟ لا تفعلوا مثل هذه الممارسات، بل احفظوا هؤلاء الأطفال – ومِنْ سِنٍّ مُبَكِّر – بأسلحةٍ روحيَّة، وعلِّموهم أنْ يرشموا ذواتهم بعلامة الصليب، مبتدأين بالجبهة، وارشموا ذواتكم بعلامة الصليب قَبلَهم، وماذا يقول المرء عن الأمور الأُخرى المرتبطة **بترصُّدِ الشيطان**، مثل مخاض الولادة واللآتي يَلدنَ، حيث تتقدم إليهنَّ القابلات للإضرارِ بِهِنَّ؟ ماذا يقول المرء عن المنتحبات بالعويل والنحيب الخارج عن إطار العقل، عندما تحدث حالة وفاة أو عند تشييع جنازة، وحالة الهياج عند القبور لجميع النساء النائحات، والحديث عن علامات الأيام، كيف تبدأ وكيف تنتهي؟

أخبرني إذًا، هل تطلب الرأي الصَّائب مِنْ هؤلاء؟ أَلَا يَنُمْ هذا عن الجهل الشديد، عندما تطلب الرأي الصحيح والصَّائب مِنْ أُناس بهذا القَدر مِنَ الغباء، والذين يفعلون كُلَّ شيء بشكل عشوائي وعَبَثي، بينما كان ينبغي أنْ نلجأَ دومًا إلى العين التي لا تنام (الله)، وأنْ نعمل ونتكلَّم في كُلِّ الموضوعات، واضعين نُصبَ أعيُننا **تلك الدينونة العتيدة؟** لأنَّه إنْ امتدحنا هؤلاء، فلن نستفيد شيئًا على الإطلاق، لكن **الله** حين يستحسن أعمالنا، فإنَّه سيجعلنا في بهاء، هنا في الحياةِ الحاضرة، وفي اليومِ الأخير أيضًا، وسيجعلنا شُركاء في خيرات الدهر الآتي، والتي ليتنا جميعًا ننالها بالنعمة والرأفات ومحبَّة البشر اللواتي **لربِّنا يسوع المسيح** الذي يليقِ به مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والقوَّة والكرامة الآن وكُلَّ أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

(يتبع في العدد القادم)

«إنَّ الغَنيَّ عبدٌ مُعرَّضٌ للخسارة، يُعطي فرصة لكل مَنْ يَوَدُّ أنْ يُلحق به الأذى، أمَّا الذين لا يملكون شيئًا، فلا يخشون مُصادرة أملاكهم أو تغريمهم. فإذا كان الفقر يجعل المرء شجاعًا، فالمسيح أرسل تلاميذه فقراء، وطالبهم بأنْ يكونوا شُجعانًا بواسل. الفقراء أشدَّاء، وليس ثمّة ما يُسيء إليهم، أمَّا الغَنيّ فيمكن السيطرة عليه مِنْ كُلِّ جهة.

سَهلٌ الإمساك بِمَنْ يَجرُّ وراءه حبالًا كثيرة، أمَّا الإمساك بالعاري فصعبٌ. هكذا يحدث للغَنيِّ: خَدَمٌ، ذهبٌ، حقولٌ، وآلاف من الاهتمامات والضرورات تسيطر عليه بسهولة».

« في السُّوقِ حرب، وفي الحاجات اليوميَّة عِراكٌ، يشبه هياج البحر عندما تهبُّ العاصفة؛ نحن بحاجة إلى سلاحٍ، والصلاة هي أعظم سلاح. نحن بحاجة إلى رياح مواتية.

علينا أنْ نتعلَّم كُلُّ شيء، لكي نعبر نهارنا فلا تنكسر بنا السفينة، ولا نُجرح؛ كثيرةٌ هي صخوُر كُلَّ يوم، وكثيرًا ما تصطدم بها سفينتنا وتغرق. لذا نحن في أمس الحاجة إلى الصلاة ليل نهار»

من أقوال آباء الكنيسة العظام في الصليب الكريم المحيي

✞ بدلاً من أنْ تحمل سلاحًا أو شيئًا يحميك، احمل الصليب واطبع صورته على أعضائك وقلبك، وارسم به ذاتك لا بتحريك اليدِ فقط بل ليكن برسمِ الذهن والفكر أيضًا.

✞ ارسم الصليب في كُلِّ مناسبة: في دخولك وخروجك، في جلوسك وقيامك، في نومك وفي عملك، ارسمه باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس .

✞ حينما ترفع نظرك الى خشبة الصليب المعلَّقة فوق الهيكل، اذكر مقدار الحبِّ الذي أحبنا به الله حتى بذل ابنه حبيبه لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به... فأينما وُجد الصليب وُجدت المحبَّة، لأنه هو علامة الحُبِّ الذي غلب الموت وقهر الهاوية واستهان بالخزي والعار والألم... فإذا رأيت الكنيسة مزدانة بصلبان كثيرة، فهذه علامة امتلائها بالحبِّ الكثير نحو جميع أولادها.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122